الإسلام

دين الرحمة والعدالة

إعداد وتنسيق:
د. نجيب نور الدين

إصــدار
المركـز الإسـلامـي الثقـافـي
مجمـع الإمامين الحسنـين (ع)



مقدّمة

ليست المسألة الحضاريّة شأناً نَعبُره بلا تأمّل أو إمعانِ نظر، بل هي قيمةٌ إنسانيّةٌ كبرى تكتسب أهميّتها وموقعيّتها عند الأمم والشعوب من قوّة مضمونها ومدى احتوائها ما يلائم إنسانيّة الإنسان.

والإنسان لأيّة فئة انتمى، هو مخلوقٌ لله، كاملٌ في تكوينه، مكتملٌ في مواصفاته، عاقلٌ في كُنْهه، عارفٌ بالحياة أو بموضوعها إجمالاً بالقوّة أو بالفعل.

وكثيرةٌ هي الأسباب التي تدخل كعوامل محدّدة لاختلاف الحضارات وتنوّع بناها الفكريّة، ووعيها لذاتها، ومستوى مكوّناتها؛ فالجغرافيا والتّاريخ والعقيدة ومنظومات القِيَم والسلوك وغير ذلك..هي من العناصر الالتزاميّة التي تدخل في سياق توكيد الفوارق الكبيرة والنوعّية بين بني الحضارات الإنسانيّة. وهي تتنوّع تبعاً للمدى والمسافة والوسيلة التي تُسهم جميعها في تشكيل الخصوصيّة الاعتباريّة والكيانيّة لمجموعة إنسانيّة معيّنة.

فقد تتعاظم هذه الاختلافات مع لحاظ النوع الخاص لحضارة أو مجتمع إنسانيّ ما، بما يميّزه عن غيره من المجتمعات، بحيث تغدو أبعاده المختلفة أمراً بالغ الأهميّة لنشوء تعارضات جديّة في الموقعيّة والمصلحة، اللّذين ينعكسان بدورهما على منظومة الوعي الخاص فترتسم جرّاء ذلك وفي سياقه ما يُعرَف بالخاص المجتمعيّ والعام الإنساني.

وهذه الاختلافات الخاصّة تنعكس بدورها تعارضات، تتشكّل في رحمها

المصالح المتناقضة فتُحيل هذا الاختلاف مواقع متقابلة ومتعارضة ومتضاربة أحياناً كثيرة.

والقراءة المتأنّية لتاريخ البشريّة، تُنبينا عن الاتّجاه الأحادي لطبيعة العلاقات الإنسانيّة، الذي غالباً ما اصطبغ بالتناقض المتحوّل تلقائياً إلى صِدامٍ أحال التاريخ البشري ساحة صراع بين قاطنيه في أربع رياحه، والأطراف.

لقد عرفت الإنسانيّة فترات مؤلمة في سيرورتها الدائمة والمستمرّة، احتشدت في لُجّتها الحروب والمآسي والويلات، بسبب تجذّر العصبيّات اللاّمتناهية للأنا الفرديّة حيناً، والاجتماعيّة أحياناً أخرى، حتى إنّه بالإمكان ـ من خلال الاستقراء الموضوعيّ لهذا الواقع المتأصّل ـ انتزاع المعادلة الصعبة والمُوغِلة في الحقيقة في آن، وهي أنّ الوجود يعادل دائماً نفي الآخر أيّاً كان هذا الآخر بشراً أو حجراً أو حياة.

ولعلّ السّبب الأساسي في سيادة هذه المعادلة البشرية عبر التاريخ يعود إلى أمرين: الأول يتلخّص بالمصالح التي تراها المجموعات الإنسانيّة حافزاً لغزو الآخر المختلف والإجهاز على خصوصيّته، والثاني يكمن في ما تعتقده هذه المجموعات من امتلاك حصريّ للحقيقة الوجوديّة، التي تُنكر على الآخر ما عنده من فكر وعقيدة ومصالح.

وهذا التعارض الجدّي بين مصالح وعقائد المجموعات الإنسانيّة، بل مجتمعاتها، شكّل ولا يزال، مقدّمات طبيعية لصدامات بشريّة مؤلمة ومَهُولَة في أحيان كثيرة، وقد ساهم في استشراء هذا النوع من التعاطي الإنساني جهلُ الناس بعضهم لبعض، وعدمُ استعدادهم لقبول الآخر والتعرّف إليه والتلاقي معه، ولو في الحدود الدنيا.

ليس جديداً القول، إنّنا لا نرى في التاريخ إلا مشهداً أوحد للعلاقات الإنسانية، هو مشهد الحروب المتكرّرة بكلٍّ ويلاتها ومآسيها. ونادراً ما حَدَّثَنا التاريخ عن لقاءات حضاريّة بين المجموعات والمجتمعات الإنسانية. بحيث كان مبدأ القوة هو الحاكم الأساسي لعلاقات البشر في ما بينهم، ولعلّ مبدأ التساكن الحضاري لم يكن يسري إلا

في الحالات التي ساد فيها مبدأ توازن الرعب والقوّة، الذي يؤكّد القاعدة ولا يُلغيها، ويكرّس التصوّر حول سيادة ذهنيّة العدوان المستمر، التي اعتمرت العقليّات الإنسانيّة وجعلتها دائمة السعي والانكباب على إعداد أسباب القوّة التي تُحيل الآخر باستمرار عدواً وهدفاً نقيضاً لوجودها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1].

ميزة الأديان السماوية أنّها جاءت بمبدأ إلهيّ: ﴿جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

بدايةً، هذا المبدأ يُشير إلى معرفة الخالق عزّ وجلّ بطبيعة مخلوقاته البشرية، وما تنسج هذه المخلوقات من معارف وعلاقات. والقرآن الكريم يقرّر حقيقة أنّ الاختلاف شأنٌ طبيعي ولصيق ببني البشر، بل هو واقع موجود وراسخٌ. وهذا النصّ القرآنيّ لا يُعطي حكماً قيميّاً سلبيّاً على هذا الاختلاف والتنوّع نفسه؛ إنّما يعتبره حافزاً رئيسياً لأن ينطلق النّاس منه لبناء علاقاتهم على نحوٍ سويّ، سواءً كانوا شعوباً أو قبائل. ويطرح المبدأ الإلهيّ صيغةً مُثلى لهذا البناء أسماه التّعارف الذي هو صفة إنسانيّة إيجابيّة كُنهها الاعتراف بالآخر، ووُجهتُها الاستعداد لبناء علاقة تعارف معه، تُفسح في المجال لبناء علاقة بنّاءة وسليمة.

فالتفاضل هنا لا يسري على التنوّع بين بني البشر، وإنّما يطال القيمة التي يحملها كلٌّ منهم. من هنا فالأفضليّة عند الله هي للأتقى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]. أمّا التعارف فلا يُشترط أن يكون بين الأتقياء فقط، بل هو للأتقياء وغيرهم من بني الإنسان طبعاً، إذا لم يساوقه العدوان وتسبقه نيّة الاعتداء.

وإذا أردنا أن نضع سلّم أولويات للعلاقة بين بني البشر، فإنّ التعارف يأتي بالدرجة

(1) البقرة: 30.
(2) الحجرات: 13.
(3) سورة الحجرات، الآية 13.



الأولى، حيث إنّ الأساس هو تعارف المجموعات الإنسانيّة في ما بينها؛ في حين التقاتل والتنابذ والتحارب والتضاد تأتي في مستويات أدنى ودرجات خفيضة من حيث القيمة. وكما يطرحها المبدأ الإلهي، فهذه العلاقة ليست متساوية من حيث الأهميّة والنوعيّة، بل هي تتفاوت في ما بينها قيمة وجوهراً. كما أنّها ليست متفرّعات لأصل واحد، كونها ذات جذور وأصول مختلفة يصعب استخدامها كبدائل متكافئة، بل لا بدّ من استخدامها بمراتب، وَوَفْق أولويّات تحدّدها طبيعة القيم والمبادئ.

ومفهوم التعارف يحمل مضموناً ذا بُعدين: الأوّل ينطوي على دعوة لمعرفة الآخر من خلال استكشافه وولوج منظوماته وقراءته كما هو، بعيداً عن الذاتيّة التي تسقط على هذا الآخر عصبيّتها الاعتقاديّة والقيميّة، والثاني، محاورة هذا الآخر من أجل تحقّق الموضوع المراد إجراء أحكام التفاضل عليه، واستكشاف تقواه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. وهذا هو المائز الأساسي لمختلف أشكال التنوعات الإنسانية بالنسبة إلى الله في أرجاء كوكبنا المعمور.

وقد يكون لهذا الكلام مصداقية أكثر، إذا ما عاينّا الحملة الجائرة المتواصلة على الإسلام والقرآن من قِبَل من يدّعون احتلال الصفوف الأمامية للحضارات الإنسانية، بحيث يتمّ الاستفادة من الخلل الكبير في موازين القوى بين الإسلام والغرب، لشنّ حملات عداء وحقد بربريٍّ على الإسلام، لم نعهد مثيلاً له عند ظلاميي القرون الوسطى، وبأسلوب انتهازيّ لا إنسانيّ، لا نجده إلا في زمن شريعة الغاب، هذه الشريعة التي لم يسلم منها في الماضي صاحب فكر أو عقيدة أو مبدأ، ها هي اليوم تُستعاد بصلافة تحت عناوين، ليس أقلّها حرية الرأي والتعبير وغير ذلك، ممّا لا ينطلي خداعه على عاقل. إنّ مبدأ القوة الذي اعتُمد فيما مضى فيصلاً بين الحق والباطل، يُستخدم اليوم بمنطق جديد إنّما بالخلفية نفسها.

---

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

إنّ هذا المنطق الغريزي في استخدام القوة المادية والمعنوية تُجاه المختلف عقيدياً وحضارياً، هو من أبشع الصُّوَر التي يقدّمها الغرب اليوم عن نفسه، وهي تناقض، ليس فقط، القيمَ الإنسانية المنتزَعة من الرسالات السماوية والعقائد الأخلاقية الوضعية، بل القيم التي ينطلق منها أصحابها لتمرير أفكارهم العصبية المعادية.. إنّ الغرب اليوم يمارس أبشع أنواع العنصرية والحقد ضدّ أتباع دين سماويٍّ آمنَ بتعايش الأديان والثقافات، وحضن خلال قرونٍ من الزمن كلّ تلاوين العقائد والأفكار والقيم للشعوب التي عاشت في كَنَفه وإلى جواره.. وحمى المختلف عنه من كلّ موجات الحصار والنفي والإلغاء..

إنّنا لا نستطيع أن نفهم هذه العصبيّة الغربيّة تُجاه الإسلام والمسلمين وقرآنهم، إلاّ في سياق المقولات التي جعلت الإسلام والمسلمين أعداءً للغرب، ونقيضاً لمنظومتهم الفكرية والسياسية والدينية، وهي استكمال لموجات الحقد والكراهية التي ما فتئ مُنظِّرو الغرب العنصريون يبثّون من خلالها سمومَهم لتشويه دين سماوي حضاري، يتّهمون أتباعه بالتخلّف والإرهاب وغير ذلك من النعوت المجافية لروح الأديان السماوية والقيم الإنسانية والحقيقة البشرية معاً..

فبدل أن يحاول هؤلاء التعرّف على الإسلام من مصادره ومراجعه المعتبرة، ويفتحون من خلال المنابر العالمية للفكر والحوار نقاشاً جاداً وهادفاً، انزلقوا إلى مهاوي المستويات الخفيضة للتعامل مع المسلمين ونبيّهم وقرآنهم.

فبماذا نستطيع أن نفسّر هذا الانحطاط في التعامل مع نبيٍّ عظيم من أنبياء الله، وكتاب من كتب الله السماوية، هل هو كما يدّعون ممارسةً للحريّة في التعبير عن الرأي، أم إنّه استغلال للحريّة للعدوان على مقدّسات المسلمين...ونتساءل هنا متى كانت الحرية بلا ضوابط أو حدود، خاصة إذا اتّصلت بعقائد شعوب ومقدّسات أمم، إنّ هذه الخفّة التي يتعامل بها الغربيون عموماً مع مقدسات المسلمين، لا يمكن بحال من الأحوال

اعتبارها ممارسة للحريّة، بل هي امتهان لهذه الحرية، وإذلالاً لها ولشرفها.. إذ كيف يستقيم العدل في العالم وهذه الازدواجيّة في النظر إلى قضايا الشعوب والأمم هي الحاكمة على وجهات نظر أصحاب القوة والسّطوة في هذا العالم؟.

نحن لا ندافع عن الأعمال والارتكابات الشاذّة التي قد يقوم بها بعض المسلمين في الغرب، لسبب مشروع أو غير مشروع، بل نحن نُدينها وأدنّاها في مواضع كثيرة، إنّما الأخطاء التي يرتكبها هؤلاء ليست بِدْعاً من الأفعال والارتكابات، نحن نجد ما يشبهها عند معظم دول العالم وشعوبها، ولو بحثنا عميقاً في أسباب هذه الارتكابات والأخطاء، قد نجد أنّ المسؤول عنها هو من أصّلها وشجّع عليها، وأصابع بعض مَنْ في الغرب ليست بعيدة عن هذه النزعة المبتدعة في بلاد العرب والمسلمين..

نقول «للمتحضّرين» في هذا العالم.. قليلاً من الحضارة وأخلاق الحضارة وعدالة الحضارة، فالقوّة لا تسوّغ انتهاك مقدّسات شعوب وأمم تحترم المقدّسات، بل الواجب الإنسانيّ والأخلاقيّ يدعوكم لأن تعاملوا نظراءكم في الخلق وإخوانكم في الإنسانيّة، كمعاملتكم لأنفسكم إن كنتم متحضّرين، وإلّا ما أبشع أن يحيا المرء في حضارة تحكمها شريعة الغاب.

فيما يلي نستعرض بعض ما قاله وكتبه سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله(رض) في الإسلام، حيث تبرز خلال مطالعاته، سماتٌ لبعض فصول الرحمة والعدالة والمحبة والحوار بأجلى معانيها، وذلك سعياً لإضاءة بعض ما أظلم في عيون شعوب غير معنيّة بسياسة العداء، التي تُنتجها الحكومات وإدارات الدول الغربية حول ما جرى تمويهه من الحقائق التي طمسها أصحاب الغرائز العصبيّة في الغرب عن أعين شعوب الغرب والمنصفين منهم عن الإسلام.

مدير مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر

نجيب نورالدين



القرآن كتاب هداية

من القرآن الكريم نبدأ، هذا الكتاب الإلهي الكريم كتاب الهداية الذي قاد ـ بمنهجه العمليّ ـ حركة الدعوة الإسلاميّة في مسيرة النبي محمد (ص) في الدّعوة إلى الله والجهاد في سبيله، فهو كان يُلاحق كلّ المشاكل التي كان يعيشها المسلمون في قضاياهم التبليغيّة والاجتماعيّة والفرديّة والأمنيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، ممّا قد يختلفون فيه، بطريقة ذاتيّة فيما بينهم، أو مع الآخرين، فكان سبحانه وتعالى يُنزل آياته ليعالج من خلالها المشاكل التي كانت تنشأ بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلاميّ الأوّل، وليحسم بها الخلافات، وليحدّد المواقف، وليرسم الخطوط وليوجّه الجميع نحو الهدف الكبير.

وانطلاقاً من ذلك يتّضح لنا، أنّ القرآن لا يفهمه إلاّ الحركيون، وهؤلاء هم المفكّرون الواعون المنفتحون على الحياة من خلال الرسالة، وعلى الرسالة في حركة الإنسان في الحياة، لأنّ المفردات اللُّغوية في القاموس المعجميّ لا تستطيع أن تفسّر آياته للناس بأبعادها المتنوّعة، بل لا بدّ عند تناول آيات القرآن بالتفسير، من أن يتمّ ذلك من خلال الواقع الحركيّ للحياة وللإنسان، ممّا يجعلنا نشعر أنّه يتجدّد في حركيّته كلّما انطلق في الحياة بشيء جديد، تماماً كما هي الحياة عندما تتجدّد في كلّ ليلٍ أو نهارٍ ليتجدّدا في حركتهما فيها.

وفي هدى ذلك نريد للمتعاملين مع القرآن من مسلمين وغير مسلمين أن ينفتحوا

على كتاب الله ليفهموه وليتدبّروا آياته وليدرسوا شخصيّاته المستقيمة والمنحرفة، وليتعرّفوا ساحات الصراع التي خاضها المؤمنون من قَبْلِنا في مسيرة الأنبياء، بين الكفر والإيمان، والخير والشر، والعدل والظلم، والمستكبرين والمستضعفين، لننطلق إلى الحياة بوعي يستهدي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في المضمون الإسلاميّ في العقيدة والشريعة والحياة، وفي الأسلوب المنهجيّ في حركة الدّعوة إلى الله، لأنّ البعض قد أخذوا بالإسلام، في مضمونه من مصادره الأصيلة، ولكنّهم أخذوا بالأسلوب من مواقع غير إسلاميّة في مفرداتها في الواقع العملي، الأمر الذي أدّى إلى كثيرٍ من السلبيّات الاجتماعيّة والسياسيّة والأمنيّة، ومن المشاكل العمليّة من خلال الذهنيّات المنفعلة المتشنّجة التي أعطت انطباعاً سلبياً أفرزه الواقع السلوكي في خطّ تلك التيّارات غير الإسلاميّة.

ولو أردنا أن نستنطق أسلوب القرآن وطريقته في تنظيم علاقات الإنسان بالإنسان، وفي معالجة روابطه الاجتماعيّة، لما وجدنا خيراً من كلمتَيْ «التسامح» و«العدل» تعبيراً عن المبدأ الشامل الذي يستوعب دقائق التشريع وتفاصيله، في هذا المجال.

فنجد مبدأ «التسامح في القرآن الكريم يتمثّل في الآيات الكريمة المتفرّقة التي تدعو إلى «العفو» و«الصفح» و«الإحسان» و«دفع السيئة بالحسنة» و«الإعراض عن الجاهلين»، وغير ذلك من المعاني التي تلتقي بالتسامح وتنطلق منه.

فنحن نقرأ الآيات الكريمة التالية:

﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]

---

(1) سورة الرعد، الآية 22.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾[1]

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2]

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[3]

﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾[4]

﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[5]

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[6]

﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[7]

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[8]

﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[9]

---

(1) سورة المؤمنون، الآية96.

(2) سورة فصلت، الآية: 34.

(3) سورة الفرقان، الآية 6 3.

(4) سورة البقرة، الآية 109.

(5) سورة البقرة، الآية237.

(6) سورة آل عمران، الآية 159.

(7) سورة المائدة، الآية 13.

(8) سورة الشورى، الآية 37.

(9) سورة الشورى، الآية 40.

﴿قُـل لِّلَّذِيـنَ آمَنُـوا يَغْفِرُوا لِلَّذِيـنَ لا يَرْجُـون أَيَّامَ اللَّـهِ لِيَجْزِيَ قَوْمـاً بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]

﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[2]

﴿وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[4]

أمّـا العـدل فنلمحه ينطلـق في القـرآن الكريم ليدخل كلّ مجـال من مجالات الحياة، عامّة وخاصّة، انطلاقاً من الفرد مع نفسه وخالقه وأسرته وأمّته ومع الناس جميعاً ومع الكون في كلّ ما يتمثّل فيه من مخلوقات.

فنقرأ الآيات التالية:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[5]

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[6]

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾[7]

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْـطِ شُـهَدَاءَ لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِـكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْـنِ وَالأَقْرَبِيـنَ إِن يَكُـنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيـراً فَاللَّهُ أَوْلَـى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُـواْ الْهَوَى أَن

(1) سورة الجاثية، الآية14.

(2) سورة القصص، الآية 77.

(3) سورة البقرة، الآية 195.

(4) سورة النحل، الآية 90.

(5) سورة النحل،الآية90.

(6) سورة الشورى، الآية15.

(7) سورة النساء، الآية 58.



تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[2]

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[3]

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[4]

فنستطيع أن نلمح العدل في الآيات الكريمة التي عرضت لردّ الاعتداء بمثله دون عدوان، وجزاء سيئة بمثلها دون طغيان..باعتبارهما تجسيداً لمفهوم العدل، وتطبيقاً حيّاً لمبدأه، فنقرأه في الآيات الكريمة التالية:

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[5]

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾[6]

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[7]



---

(1) سورة النساء، الآية135.

(2) سورة المائدة، الآية8.

(3) سورة الأنعام، الآية152.

(4) سورة الأعراف، الآية29.

(5) سورة البقرة، الآية194.

(6) سورة النحل، الآية 126.

(7) سورة الشورى، الآية40.



التسامح والعدل مرتكزات القرآن الكريم

ولا بدّ لنا ـ حرصاً على سلامة البحث وعلاقته بموضوعنا الذي نحن بصدده ـ من الوقوف قليلاً أمام كلٍّ من هذين المبدأين «التسامح والعدل»، فنتعرّف على ملامحهما، ونبيّن ـ في ضوء ذلك ـ خطوطهما وأبعادهما العامّة في حياة الإنسان.

فمبدأ «التسامح» يمثّل «الأسلوب المسالم الوديع الذي يواجه به الإنسان اعتداء الآخرين عليه وإساءتهم إلى حقوقه»، فهو يهدف إلى أن يجعل من الإنسان المعتدي عليه إنساناً مثاليّاً تنبع الرّحمة من قلبه، لتنطلق في حياة الآخرين محبّةً وسلاماً، ويتدفّق الخير من روحه ليفيض على مجمتعه نُعمى وهناء..

وفي ضوء ذلك يكون هذا التشريع لمبدأ «التسامح» في حياة الإنسان، منسجماً تماماً مع الفهم العميق والإدراك الواعي لواقع الإنسان، ومنطلقاً من هذا الواقع، ليفسح له مجال التراجع، ويُعينه على ذلك دون أن يؤثّر على روح العزّة والكرامة لديه، لأنّه ينطلق من الجانب المُعتدى عليه الذي يفرض موقفه عليه أن يكون واقعه بمثابة ردّ فعل للاعتداء.

وهكذا نستطيع أن نفهم في مبدأ «التسامح» وجهاً جديداً من وجوه التشريع الإسلامي، ينطلق من لحظات الضّعف البشري، ليتحوّل بها إلى جانب القوة والعزّة والكرامة والحياة الإيجابيّة السليمة.



أمّا «العدل»، وهو المبدأ الثاني الذي اعتمده الأسلوب الإسلاميّ في العلاقات الاجتماعيّة ـ فيما نرى ـ فنجد أنّه يمثّل الأسلوب الإيجابيّ الصارم الذي يعالج به الإنسان مشاكل حياته في نطاق اتّصالها بالآخرين. فهو يهدف إلى أن يسكّن من جموح غريزة العدوان في نفس الإنسان، ويخفّف من طغيان الأثرة والأنانيّة والحقد البغضاء وغيرها من النوازع الشريرة، وذلك بوضع الحدود الماديّة التي توقفه عند حدّ معيّن لا يتجاوزه ولا يتعدّاه.

ولكنّ الشريعة السمحة لم تشأ لهذا التشريع أن يكون جافّاً قاسياً، بل حاولت أن تلطّف من حدّته وتخفّف من قسوته، فلاحظت فيه جانب المرونة التي تحفظ للحقّ قدسيّته وللحقيقة هيبتها، فانطلقت تفسح المجال أمام العفو، وتشجّع على الصفح والمغفرة، حتى ليكاد القارىء يشعر ـ وهو يقرأ القرآن الكريم ويتلو الآيات المتعلّقة بالعدل ـ أنّ جانب العفو أقرب إلى الله من جانب القصاص: ﴿أَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[1]؛ ولعلّك لا تجد آية تَعرُض للعدل في مورد القصاص إلاّ وتجد معها الأمر بالصبر والعفو والصفح والمغفرة، ممّا قد يُوحي أو يومئ للقارئ أنّ العدل ـ في هذا الجانب ـ قد اعتُبِر وسيلة لإقامة النظام وحفظ الحقوق، حيث لا وسيلة غيرها، ولا طريق سواها، وإلا فعلى الإنسان أن يحاول تفادي هذه الوسيلة ـ وإن كانت حقّاً له ـ مهما أمكنه ذلك.

الحكم بالعدل

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾[2] إنَّ الله قد أنزل الرسالات كلّها ليقوم الناس بالقسط، لِما في ذلك من التأكيد على خطّ التوازن في الحياة،

(1) سورة البقرة، الآية 237.

(2) سورة النساء، الآية 58.

الـذي تستقيم به الأمور وتتطـوّر، وترتكز على قاعدة ثابتة في واقع الأشـياء، فلا تنحـرف بها عاطفـة، ولا تجمح بها رغبة، ولا تفسـدها علاقة قريبـة، ولا تغيّرها علاقة بعيدة، بل كلّ ما هناك، أنّ في الساحة حقّاً يُراد بلوغه وإعطاؤه إلى صاحبه، من خلال المعطيات الواقعيّة للقضية والظروف الموضوعيّة المحيطة بها، فليست هناك عيون لامعة متنقّلة بين مزاج الإنسان ورغبته وبين مفردات الواقع، ليحاول التوفيق بين هذا وذاك، أو تغليب هذا على ذاك، بل هناك عين واحدة جامدة وعقل واحـد هادىء، يحدّقان بالواقع من خلال معطياته، بعيداً عن كلّ شـيء آخر يمنع القضيـة من أن تأخـذ مجالها الطبيعي فـي الوصول إلى النتيجة الحاسـمة. وهذا مـا أكّـده القرآن في أكثر مـن آية، كما في قوله تعالـى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَـالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُـدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْـطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْـعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُـمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وفي قوله تعالـى: ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُـواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُـهَدَآءَ بِالْقِسْـطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُـواْ اللَّـهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[3].

ومن الواضح أنّ العـدل لا يختصّ بالمنازعات الحاصلة في مجالس القضاء،

---

(1) سورة الأنعام، الآية 152.

(2) سورة المائدة، الآية 8.

(3) سورة النساء ، الآية 135.

بل يتّسع ليشمل كلّ القضايا التي يختلف الناس فيها، في شؤون الحكم من حيث علاقة الحاكم بالمحكومين، وعلاقات الناس ببعضهم، وفي شؤون التقييم للأشخاص والأوضاع، وفي تقديرهم للمواقف من خلال ما تختزنه من مؤثرات وما يحيط بها من ظروف... وبذلك يكون العدل هو السمة البارزة التي تطبع الواقع الإسلاميّ في حياة الفرد؛ العائليّة أو العامّة من جيرانٍ وأقارب وأصدقاء ومعارف، إلخ... لا سيّما الذين يتحمّل مسؤوليّتهم ويتحمّلون مسؤوليّته، في نظرته للأمور، وفي كلماته وأعماله وفي حياة المجتمع، في تصرّفاته وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى، ليكون العدل هو الأساس الذي يحكم التصرّفات والعلاقات، بعيداً عن موازين القوّة والضعف والقرب والبعد، لتتكامل الحياة وتتوازن في أوضاعها العامّة والخاصّة، وتحتضن قيمها الروحيّة والماديّة في عدالةٍ وسلام.

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[1] وتلك هي الموعظة، التي هي نِعْمَ الموعظة، فإنّ الله لا يعظ الناس بالمواعظ الفارغة التي لا تُقدّم لهم شيئاً كبيراً في بناء حياتهم وشخصيّاتهم، بل في كلّ مواعظه، الخيرُ والبركةُ والإصلاحُ، فلا بدّ للمؤمنين من الارتباط بها، والسَّير على هُداها، فإنّه يسمع كلّ ما يقولون ممّا يتّصل بالعدل والأمانة، ويبصر كلّ ما يعملونه في كلّ شؤون الحياة العامة والخاصة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[2].

---

(1) سورة النساء، الآية 58.

(2) سورة النساء، الآية 58.

العدل شعار الإسلام

ويقول تعالى: ﴿يَـا أيّها الَّذِيـنَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للَّهِ شُـهَدَآءَ بِالْقِسْـطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُـمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ عَلَـى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْـوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وهنـا تأكيـد من الله عـزّ وجلّ على أنّ العدل هو شـعار الإسـلام فـي الحياة، وينطلق القرآن ليؤكّد عليه في بناء شخصيّة الإنسان المسلم بمختلف الأساليب، مـن أجل إلغاء كلّ النوازع والأفكار والمشـاعر المنحرفة من تكوينه الذاتي، لِئَلاّ تَحُول بينه وبين الانسجام مع حركة الخطّ المستقيم في الحياة.

وجـاءت هـذه الآية لتتحدّث عن ذلك من بعض جوانبه الحـادّة الّتي قد تؤدّي بالإنسان إلى الانحراف، فأطلقت المبدأ الأساس في طبيعة الموقف الَّذي ينبغي للمؤمنيـن أن يقفـوه، فدعتهم إلـى أن يكونوا قوّاميـن لله، بحيث تكـون حياتهم كلّهـا قيامـاً له، وانفتاحـاً عليه، والتزاماً برضـاه، في كلّ ما يفكّرون بـه ويتطلّعون إليـه ويقومـون به من أعمـال، ويمارسـونه من علاقـات، ويهتمّون بـه من قضايا ومواقـف.. فليـس هناك مـكانٌ في شـخصيّتهم، في كلّ مـا يختزنونه مـن دوافع ويعيشـونه من مشـاعر وأحاسـيس، لغير الله، وبذلك يصبح الإنسان خاضعاً في موقفه في كلّ العلاقات الإيجابيّة والسـلبيّة لرضـى الله، وفي ضوء ذلك، أرادت منهم أن يكونوا ﴿شُـهَدَآءَ بِالْقِسْطِ﴾ ـ وهو العدل ـ لأنَّ ذلك هو مقياس الارتباط بالله والابتعاد عن غيره، لما يسـتلزمه الارتباط بالحقّ من رؤية صافية واضحة لا يَحُـول الضباب بينها وبين واقع الأشـياء، فالمؤمن ينظر بنور الله الَّذي أودعه في

(1) سورة المائدة، الآية 8.

قلبه، ونور الله لا يُخطِئ ولا ينحرف عن خطّ الحقيقة. وبذلك تكون الشّهادة بالقسط حركة الإيمان الواعي في حياة المؤمن، وبهذه الروح لا مكان للعداوة والصداقة في هذا المجال، فليس للمؤمن أن يفكّر بهما في ما ينطلقان فيه من مشاعر، وما يتحرّكان به من مواقف، بل كلُّ فكره ـ عند أيّة قضية ـ اللهُ والحقُّ، فهما الهاجس في كلِّ شيء.

ويؤكّد الله هذا الجانب من الموقف في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملنَّكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ وبغضهم وعداواتهم، ﴿عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ﴾ فتشهدوا عليهم بغير الحق أو تحكموا عليهم بالباطل، ﴿اعْدِلُواْ﴾ مع أعدائكم وأصدقائكم ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فالعدل يلتقي مع خطّ التقوى الَّذي يراقب فيه الإنسان ربَّه ولا يراقب غيره مهما كانت صفته في حياته، ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في الالتزام بهذا الخطّ في جميع مجالات حياتكم، فلا تَدَعوا العلاقات السلبيّة والإيجابيّة تؤثّر على طريقتكم في الحكم والشهادة، ولا تغفلوا عمّا توحيه فكرة الإيمان من الحقيقة الإلهيّة، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وهذا ما يميّز المجتمع المسلم في أفراده، سواء على مستوى الحكم أو العلاقة والمعاملة، فالإيمان يمثّل الضمانة الحقيقية الّتي يقدّمها لكلّ الَّذين يلتقون معه في العقيدة أو يختلفون معه فيها، فلا مجال ـ مع الإسلام ـ للظلم حتَّى للأعداء، لأنَّ قضيّة العداوة تخضع لأوضاع ومواقف معيّنة تفرض نوعاً من السلوك السلبيّ الَّذي لا يمكن أن يبتعد عن الموازين والقوانين الشرعيّة، الّتي تعتبر أنَّ للعداوة مساحةً لا يمكن أن يتعدّاها الإنسان المؤمن، وهي مساحة الحقوق الّتي اكتسبها هذا العدو أو ذاك، من خلال المواثيق والمعاهدات، أو من خلال الأحكام الشرعيّة الّتي أنزلها الله ممّا يحترم فيه بعض جوانبه الإنسانيّة.

وبناءً على ذلك، يجب على القائمين على شؤون التربية الإسلاميّة التأكيد على هذا الجانب في بناء شخصيّة الإنسان المسلم والابتعاد به عن الانفعالات الحادّة الّتي قد توحي بها العداوة كي لا ينحرف عن الخطّ المستقيم، وذلك من أجل بناء مجتمع سليم عادلٍ على أساس تركيز الفرد المسلم العادل، وتلك مهمةٌ صعبةٌ في واقعٍ المجتمع المنحرف القائم على قواعد الانفعالات الّتي تُثيرها العلاقات السلبيّة والإيجابيّة، ولكنَّها الصعوبات الّتي تنتظر الدُّعاة إلى الله، الأدلّاء على سبيله، ليكونوا في مستوى مسؤوليّة الإيمان والحياة.



وهكذا استقام للتشريع الإسلاميّ في ضوء القرآن أن يحقّق التوازن فيما يرسم من شريعة، وفيما يشرّع من حكم. فقد وازن في أسلوبه العمليّ للعلاقات الاجتماعيّة بين جانب الضعف البشريّ، وبين جانب التمرّد الغريزي، فحاول أن يحطّم كبرياء الغريزة بالقضاء على طبيعة التمرّد، فشرّع مبدأ « العدل» الذي يُفسح للإنسان مجال حماية حقوقه وصيانة كرامته من أن تعبث بها نزوة متمرّدة أو تذهب بها شهوة منحرفة، ويعطي الحياة قوّة كبيرة رادعة تحفظ بها نفسها وتدافع عن نظامها..كلّ ذلك في غير طغيان أو إسراف.

وحاول بعد ذلك أن يعطف على جانب الضعف البشريّ، فشرّع التسامح كأساس عام لعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان، كما راعى في العدل جانب الصّفح والمغفرة.

ولا بدّ لنا من أن نلاحظ أن حقّ المعتدَى عليه مَصُون ومحفوظ في حالة اقتصاصه من المعتدي وأخذه بالعدل، وفي حالة عفوه عنه ومغفرته له؛ أما في حالة القصاص، فلأنّ ذلك يتيح له استيفاء حقّه استيفاءً ماديّاً، وأمّا في حالة العفو

والمغفرةَ فلأنّ ذلك يفسح له المجال لإشباع جانب الخير والرّحمة والكرامة في داخل ذاته، لأنّ هذه الخطوة تُشعره باحترام ذاته وسموّ روحه.

وهناك ناحية ثانية يشعر بها صاحب حقّ العدل، وهي أنّ منحه هذا الحقّ يُشعره بقيمة عفوه حين يعفو، لأنّه يكون عفواً عن قدرة، على العكس من الحالة التي لا يجد فيها مجالاً لأخذ حقّه واسترداده، فإنّه يكون عفواً عن عجز، وهو عفو لا يُرضي طبيعة الكرامة في نفس الإنسان.



وخلاصة القول: إنّنا نستطيع أن نفهم ـ في ضوء ما قدّمناه ـ طبيعة الأسلوب القرآنيّ في الحياة في كلٍّ من مبدأَيْ «التسامح» و« العدل»، فإنّهما يرجعان إلى مصدر واحد، وينطلقان من واقع واحد، هو ملاحظة واقع الضعف البشريّ الذي قد يتراجع عن خطأه فيفتقر إلى اليد التي تأخذ بيده، وتُعينه على تصحيح موقفه دون امتهان لكرامته أو إساءة لعزّة نفسه..فكان التسامح ، الذي يمثّل «الأسلوب المسالم الوديع»، هو تلك اليد التي ينشدها.

أمّا حين يتمرّد هذا الضعف وينحرف، ويهدّد النظام بالفوضى، والحياة بالدّماء..أما حين تستبدّ به حيوانيّته وتستثيره وحشيّته، فإنّه يفتقر إلى الردع الذي يحطّم غروره، وإلى القوّة التي تكبح جماحه، وتخفّف من غلوائه، وتطامن من كبريائه، وتضع أمامه الحدود والسدود لِئَلاّ يبقى سادراً في غيّه، منطلقاً مع هواه، كسبيل من سُبُل حماية الحياة من شذوذه، وحمايته من تحطيم نفسه، وتحطيم الحياة معه..فكان «العدل» هو هذه القوّة التي تُوقِفه عند حدّه، وتُرجعه إلى عقله وتُعيد إليه توازنه واستقامته.



القوّة وعلاقتها بالدعوة إلى الإسلام

ما هي علاقة الدّعوة إلى الإسلام، بالمنطق الإسلاميّ للقوّة؟ هل يعتبر الإسلام العنف والقهر والإكراه والقتال، وغيرها من مفردات المفهوم العمليّ للقوّة، وسيلة لإدخال الآخرين في الدين الإسلامي.. فليس أمام الإنسان الذي يرفض الاعتراف بالإسلام، إلاّ الخضوع للضغوط التي تضطرّه إلى الاعتراف، من دون اعتبار لفكره وقناعته؟

وعليه، هل نستطيع اعتبار القوّة المتمثّلة في الفتوحات الإسلاميّة، أساساً تحليلياً لتفسير انتشار الإسلام في العالم؟

تلك هي الأسئلة التي أُثيرت، ولا تزال تُثار من قِبَل كثير من الحاقدين على الإسلام، كأسلوب من أساليب التشكيك بقدرته على الاستمرار في ظلّ ظروف الحريّة الفكريّة، التي تبتعد فيها الضغوط العسكريّة أو غيرها، عن ساحة المعركة الفكريّة، ليبقى الفكر وحده، يواجه الحقيقة بوسائله المتعدّدة التي تلتقي بقوّة الفكرة من الداخل بعيداً عن أيّ ضغوط.

وربّما خُيِّل لهم، أنّ القضيّة التي أثاروها عن الإسلام، لا تقبل الجدل، بل هي في مستوى الحقيقة الثابتة التي ترتكز على أساس آيات القتال والجهاد في القرآن، وأحاديث النبيّ في الدّعوة إليه.. ثمّ الممارسة الدّائمة التي كان الإسلام

فيها ينتقل من حرب إلى حرب ، ومن غزوة إلى غزوة، في شعار واحد يحمل الدعوة الملحّة إلى الدخول في الإسلام، تحت طائلة التهديد في حالة الامتناع.. وإذا اجتمعت الممارسة مع التشريع في حركة الإسلام، فلا يبقى هناك أيّ شكّ في طبيعة الفكرة المطروحة، من خلال النظريّة والتطبيق..

وقد كان الهدف من هذا كلّه.. أن يُسبغ هؤلاء على الإسلام صفة الدين الذي يؤمن بالأساليب التعسّفية، وينطلق مع الحياة على أساسٍ وحشيّ لا يعترف بحرية الإنسان فيما يأخذ وفيما يَدعُ.. كطريق من طُرق إبعاد الناس عنه..

وهكذا تمّ لهم أن يُبعدوا الإنسان الغربي عن الإسلام، حتّى رأينا أديباً عظيماً مثل «برنارد شو» يعجب لِعَالِم إسلامي ـ التقى به في بعض البلدان ـ أن يحاضر في فلسفة السلام، فيما نَقَلته مجلة « المسلمون» من المحاورة التي جرت بينه وبين الشيخ عبد العليم الصديقي، فقد فاجأه «برنارد شو» بقوله:

« دار حديثك حول فلسفة السلام، وقد كان الأجدر بك ما دمت مسلماً لو تحدّثت عن فلسفة الحرب، لأن الإسلام إنّما انتشر بحدّ السيف»..

وإذا جرينا قليلاً مع هذه المحاورة، فسنجد مبلغ تأثّر هذا الأديب الغربي بهذه الفكرة، إذ يتساءل ـ بعد أن حاول العالِم المسلم أن يصحّح نظرته من خلال التهمة التي نسبها إلى الإسلام ـ بقوله: « قد نقرّ سيادة كثير من ضروب الفهم للإسلام، لكن..هل توافقك الجماهير المسلمة على تفسيرك» وهل يعتقد هؤلاء أنّ الإسلام لم يسبق له أن انتشر إلا بالقهر وما ينبغي له ذلك؟

ولم تقف الفرية عند هذا الحدّ، بل حاول بعضهم أن ينكر الأساليب السلميّة، التي مارسها الإسلام في الدّعوة، ويشكّك في قابليّتها لإحراز أيّ نجاح في هذا

المجال، فهي ـ من وجهة نظره ـ لم تستطع أن تحرز أيّ تقدّم للدين، لأنّ تعاليمه ومبادئه المجرّدة لا تشـجع الآخرين على الدخول فيه واعتناقه طواعيةً واختياراً؛ فقـد قـال « فردريك دنيـون موريس»: « من الثابت أنّ الإسـلام لـم يكن يُصادف نجاحاً إلا عندما كان يهدف إلى الغزو»..

أمـا الفكرة التي تفسّـر الأسـلوب السـلميّ للدّعوة الإسـلاميّة بمرحلـة زمنيّة معيّنة، لم يكن استعمال القوّة فيها أمراً عمليّاً، فنستطيع أن نتعرّف عليها فيما ذكره صاحب كتاب « الدعوة إلى الإسلام» حيث يقول: « وقد أكّد الكتّاب الأوروبيّون مراراً أنّ النبيّ سلك مسلكاً جديداً تمام الجدّة منذ أن هاجر إلى المدينة، ومنذ أن تغيّرت ظروف حياته هناك، وأنّه لم يعد ذلك البشـير النذير المرسـل إلى الناس، الذيـن كان قـد أقنعهم بالحجّـة بصدق الدّين الـذي أوحي إليـه، وإنّما ظهر الآن أقـرب إلـى أن يكـون متعصّباً مندفعاً، يسـتغلّ كلّ ما في سـلطته من قـوّة ومهارة سياسية في فرض نفسه وفرض آرائه»[1]..



وهكذا يجد الباحث الواعي ـ الذي يحاول التعرّف على الصورة المضيئة الواضحة للإسـلام ـ نفسـه وجهـاً لوجه أمام هـذه الصّورة القاتمة للإسـلام، من الدّعوة الإسـلاميّة في أسـلوبها العملـي؛ الأمر الذي يجعـل معالجتها والوقوف عندهـا واجبـاً عملياً تفرضه سـلامة البحـث ونزاهته، قبـل أن يكون واجبـاً دينيّاً تفرضه طبيعة الدين وسماحته.

وقبـل أن نجـري في حديثنا إلـى ما نريـده ونحاوله، نجد أنفسـنا أمام ضرورة

(1) السيد محمد حسين فضل الله. أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك، الطبعة الثانية، ص102ـ103.



مُلحّة تدفعنا إلى التطلّع إلى دوافع هذه التّهمة التي ألصقها الكُتّاب الأوروبّيون بالإسلام، أو بالأحرى القضيّة التي تجعلهم يتّخذون هذا الموقف العدائي للدعوة الإسلامية، فليست القضية ـ فيما نظن ـ مجرّد حقد شخصيّ تفرضه دوافع شخصيّة بحتة.. بل هي النظرة الاستعلائيّة التي تفترض الآخر في مكانة دونيّة لا ترتقي إلى مكانته الإنسانيّة والحضاريّة، وهذا عين الجهل ابتداءً، وعين العصبيّة التي يدّعي المتهجّمون على القرآن والإسلام أنّهم براء منها وأنّهم أصحاب القيم الإنسانيّة الحقّة.

وكان من بعض الأسلحة التي اتّخذوها في صدّ الإسلام عن أن ينطلق إلى حياة الإنسان الغربي، سلاح الإثارة والتشويه، الذي يحاول أن يصوّر الإسلام غولاً بشعاً يفترس الأمن والطمأنينة والاستقرار، ويفتك بالحياة الوديعة المسالمة، ويهدم الحضارة الإنسانيّة، ويتحوّل بالإنسان من حضارة متطوّرة متطلّعة إلى الأمام أبداً إلى حياة بدائية رجعية ترجع إلى الوراء دائماً.

وهكذا كانت الفكرة التي قدّمناها مظهراً من مظاهر هذه الحرب التي خاضوها ضدّ الإسلام والمسلمين. ولا زالوا يخوضونها تحت عناوين متنوّعة رغم أن استهدافاتها النيل من القرآن والإسلام واحدة.

ونحن لا نريد هنا أن نخوض بحثاً مقارناً بين الإسلام والغرب، أو نستنطق مصادر كلّ منهما في القضايا العامّة التي أثارها هؤلاء الكُتّاب؛ أو نرجع إلى التاريخ لننظر كم ظُلمت المسيحيّة على أيدي معتنقيها بسبب الدماء التي سُفكت باسمها، والاضطهاد الذي تعرّضت له جموع غفيرة من البشر من أجل إدخالهم في الدين.. نحن لا نريد مثل هذا البحث، لأنّنا لسنا بصدد مقارنة بين الأديان، ولأنّنا نعلم أن الأديان بشكل عام بريئة من كثير من المظالم والآثام التي تُرتكب



باسمها، وندرك ـ إلى جانب ذلك ـ أنّه ما من دين أو مبدأ إلا وقد عاش مثل هذه التجربة التي تبتعد به عن هدفه، وتنحرف به عن مقصده؛ ولذا فليس من العدل والإنصاف، أو من سلامة البحث ونزاهته، أن نُدخل مثل هذه الوقائع في مجال الصراع العقيدي والجدل الفكري.

بل نحن هنا في محاولة للإشارة ـ مجرّد إشارة ـ إلى أنّ المسيحيّة ـ من وجهة النظر التشريعية ـ لا تستنكر استعمال القوة في سبيل الدفاع عن الحق، فإنّ إنجيل «لوقا» يذكر في العدد السّادس والثلاثين من الفصل الثاني والعشرين أنّ المسيح أراد من تلاميذه الاستعداد للدفاع بالسيف، وقال لهم: «من ليس له سيف فليبع ثوبه وليشترِ سيفاً»[1].

وما دام استعمال السيف في مقام الدفاع أمراً مشروعاً لدى المسيحيّة، فما الذي يستطيع هؤلاء أن يجدوه في الإسلام ممّا لا يجدونه في المسيحية من تشريع؟



أما القضيّة التي تواجهنا هنا فهي، أنّ الإسلام قد شرّع الجهاد كفريضة دينيّة، يترتّب عليها كلّ ما يترتّب على الفرائض الدينيّة من آثار وأحكام. تلك قضيّة لا ريب فيها؛ فقد أصبحت من ضروريّات الدين وبديهيّاته، وقد عالجها القرآن أكثر من مرّة، وبالغ في التشديد عليها، والتأكيد على الالتزام، بها والمحافظة عليها، وأنذر المتسامحين فيها والمتهاونين بها عقاباً شديداً، كما وعد القائمين بها أجراً عظيماً.

---

(1) الرحلة المدرسية: البلاغي ج 3 ص 219 ـ 220.

وما دامت القضيّة في هذا المستوى من الوضوح، فلن تثير لدينا أيّ سؤال في طبيعة تشريعها كفريضة دينية عملية، ولكنّنا نستطيع إثارة هذا السؤال معها في الأهداف التشريعية التي استهدفها الإسلام من تشريع الجهاد.

فهل هي أهداف دفاعية أو وقائية تستهدف تركيز الكيان الإسلامي ودفع الأخطار عنه، وفسح المجال أمام الدعوة الإسلاميّة لتنطلق دون حاجزٍ ماديٍّ أو معنويّ؟ أو أنّها ليست كذلك، بل هي أهداف تجري في مجال آخر يستهدف إدخال الناس في الإسلام قسراً.

وبتعبير آخر يجعل المسألة أكثر التصاقاً بموضوع حديثنا الآن:

هل كانت الحرب في الإسلام ـ التي تتمثّل في تشريع الجهاد ـ طريقة إسلاميّة لإكراه الناس على الدخول في الإسلام، وأسلوباً لدعوة الناس إلى اعتناقه قسراً أو إكراهاً؟

أو أنّها كانت طريقة واقعية يفرضها الواقع الموضوعي لكلّ دعوة ومبدأ، للدّفاع عن كيانه وحفظه من أعدائه؟

هذا هو السؤال الذي يواجهنا في هذه القضيّة.

أمّا الجواب عنه فله أكثر من جانب، وأكثر من جهة.. لأنّنا في سبيل معرفة إسلاميّة تشريعيّة، ترتبط بالقرآن الكريم كمصدر أوّل من مصادر التشريع التي نستنطقها لمعرفة حدود التشريع وأهدافه. لا بدّ لنا من استنطاق الآيات القرآنية الكريمة التي عرضت لأهداف الحرب والجهاد في الإسلام، وللحيثيّات التي لاحظها التشريع الإسلامي في هذا المجال.

وهي تتّصل من ناحية أخرى بالتاريخ الإسلامي، من خلال عرضه لحروب

النبي (ص) وغزواته، من حيث إنّها تمثّل أفعال النبيّ (ص) وتصرّفاته، كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع، وهو « السُّنة»، ولذا فلا بدّ لنا من استنطاق هذا التاريخ لنتعرف منه الطابع الذي يسود هذه الحروب، ويسيطر عليها، من حيث كونُهُ طَابعاً عدوانياً أو دفاعياً.

وسنحاول أن نرى بعد ذلك، ما إذا كان التشريع الإسلاميّ يسمح أو يُقِرُّ مبدأ الإكراه في الدّين كأسلوب من أساليب العمل.

ومتى تمّ لنا ما نحاوله من المعرفة في هذا الحديث، فسنجد أمامنا قضيّة لا بدّ لنا من معالجتها، وهي قضيّة اعتبار بعضهم الأسلوبَ القرآنيّ الإسلاميّ المتسامح في الدّعوة تابعاً لمرحلة زمنية معيّنة لم يكن اللّجوء إلى القوّة فيها أمراً عملياً. وسنحاول أن نتعرّف مدى صحّة ذلك بالرجوع إلى الواقع التاريخيّ لتشريع هذا الأسلوب في الإسلام واستنطاقه حول هذه القضيّة.





مع آيات القتال في القرآن

سوف نستعرض هنا آيات القتال، في محاولة استنطاق واعية لأهداف القتال وغاياته:

1 ـ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]

قال المفسّرون: إنّ هذه الآية أوّل آية نزلت في الأمر بالقتال[2]. وقيل في سبب نزولها: إنّ هذه الآية نزلت في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكّة من أوطانهم فلمّا قَوُوا، أَمَرَهم الله بالجهاد وبيّن لهم أنّه أَذِن لهم في قتال مَنْ ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم. ومعنى بأنّهم ظُلِموا..أي من أجل أنّهم ظُلِموا[3].

ويذكر الواحدي سبب النزول بتفصيل أكثر فيقول: قال المفسّرون: «كان مُشركو أهل مكّة يؤذون أصحاب رسول الله (ص) فلا يزالون يجيئون من «مضروب

---

(1) سورة الحج، الآية: 39 ـ 40.

(2) التبيان في تفسير القرآن ج7ص320ط النجف.

(3) المصدر السابق.



ومشـجوج» فشـكوهم إلى رسـول الله(ص) فيقول: «**اصبروا فإنّي لم أُؤمر بالقتال**». حتى هاجر رسول الله(ص) إلى المدينة فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

هذا هو ما قاله المفسّرون..فما الذي تعطيه لنا هذه الآية، وما الذي نستفيده منها على ضوء ذلك؟

لقد عرضت الآية لتشريع القتال في بدايته، بأسلوب يحاول أن يجعل القتال حقّاً للمسلمين، وضرورة حتميّة لحياتهم الجديدة التي بدأوا يمارسونها في ظلّ الدين الجديد..وذلك بإبراز حكمة التشريع وحيثيّاته التي تبرّره..فقد ذكرت الآية الكريمة أنّ المسلمين قد ظُلِموا من قِبَل المشركين الذي يقفون منهم موقف المقاتلين المعتدين. ومتى وقع الظلم على أحد، ثبت له الحقّ في دفع الظلم عن نفسه والأخذ بحقّه من ظالمه.

أما كيف تمثّل هذا الظلم في حالة المسلمين مع المشركين..فقد حاولت الآية أن تعطي بعض مظاهره وتُبرِز بعض خطوطه.

فقد خرج المسلمون من مكة ـ وطنهم الأول ـ، ولكن..لا طواعيّة واختياراً، بل كان ذلك نتيجة الاضطهاد والعسف والقسوة والضغط المعنويّ والاقتصادي والتنكيل والتعذيب بأفظع أشكاله وألوانه، ولم يكن باستطاعتهم الدّفاع عن أنفسهم لقلّة عددهم وضعف عدّتهم ممّا جعل الظّلم يتجسّد بشكل أفظع وصورة أقسى. وإذا كانت الأسباب التي شاركت في خروجهم هي هذه الأسباب فمن الطبيعي حينئذٍ ما نجده في تعبير الآية عن هذا الخروج بالإخراج الذي يعطي معنى القهر والإكراه وعدم الاختيار.

---

(1) أسباب النزول للواحدي ص232.



والقضيّة الأخرى التي يتمثّل فيها ذلك الظلم هي أنّ إخراج المسلمين من ديارهم لم يكن نتيجة ذنب جناه هؤلاء ولا جريمة اقترفوها، بل كان نتيجة أنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾... تلك الكلمة الحقّة التي كانت متنفّساً لإيمانهم ومنطلقاً لعقيدتهم ورمزاً للدين الذي انطلق في حياتهم الجديدة.

وفي ضوء هذا تتجسّد لنا فظاعة الظّلم، وتبرز وحشيّته، فقد يمكن للإنسان أن يبرّر إبعاد شخص عن ملاعب صباه ومواطن ذكرياته بمبرّرات تلتقي بالإخلال بالأمن ومخالفة النظام..أمّا أن يكون التبرير لذلك منطلِقاً من إعلانه كلمة الحقّ وإظهار عقديته بالله فهذا أمر فظيع.

هذان مظهران للظلم عرضتهما الآية لتجسّد الظلم أمام الآخرين، وبالتالي لتجعل الإذن بالقتال أمراً طبيعيّاً. ففي المظهر الأول تعتصر العاطفة، لأنّه يتّصل بإبعاد الإنسان عن ملاعب صباه ومواطن أُلفِه..وفي المظهر الثاني تختنق الروح، لأنّه يمنع الإيمان من أن يتنفّس، والعقيدة من ان تنطلق.

وربّما يُسيء البعض فَهْمَ الحكمة التشريعيّة فيذهب بها بعيداً عن وُجهتها، ويبتعد بها عن خطوطها المستقيمة..فقد يَحْلُو لبعضهم أن يفسّر هذه الحكمة بأنّها تعبير عن طبيعة الثأر للذات، وتنفيس عن الكبت الشخصيّ الذي يعانيه المظلوم عند عجزه عن الانتصار لقضيّته..وإذاً، فهي لا تمثّل شيئاً أساسيّاً في حكمة التشريع بقدر ما تمثّل دافعاً شخصيّاً للرغبة في القتال.

ولكن يبدو لنا أنّ هذا التفسير خاطئ، وبعيد عن جوّ الآية. فقد نستطيع أن نفهم بوضوح مدى ابتعاد القضيّة عن الجانب الذاتيّ والدافع الشخصيّ إذا لاحظنا طبيعة المبرّرات التي يبرّر بها المشركون موقفهم الظّالم من المسلمين.

فالمسلمون ـ فيما تعرضه الآية ـ لم يعانوا الاضطهاد، ولم يقعوا تحت طائلة الظلم نتيجة جريمة اقترفوها، أو ذنب جَنَوْهُ، بل لأنّهم آمنوا بالله واعتقدوا به، واتّبعوا النبي(ص) فيما بشّر به وأنذر.

وإذا كان الأمر على هذا النحوّ، وإذا كانت القضيّة في هذا الاتّجاه، فمن الطبيعيّ أن يُعتبر هذا الاضطهاد موجّهاً إلى العقيدة، وذلك الظلم واقعاً على الدين الذي يعتنقه هؤلاء ويحملونه..وما دامت القضيّة قضيّة عقيدة تُضطهد، ودين يُظلم فلا مانع من أن تنتفض هذه العقيدة لتحميَ حرّيتها، ولا غرابة في أن ينطلق هذا الدين ليحرس تعاليمه وأحكامه.

ولن نحتاج بعد ذلك إلى جهد لنعرف أنّ الدفاع عن العقيدة، هو إحدى الحقوق الطبيعيّة التي توحي بها الفطرة الإنسانيّة ويقرّها النظام.

ولولا ذلك لا يمكن للحياة أن تزهر، ولم يتيسّر للعقائد والأديان أن تنطلق وتتركز وتمتدّ في الحياة الإنسانية.

وهذا ما حاولت الآية الكريمة أن توضّحه وتجلوَه في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ..**﴾[1]

فلولا أنَّ الله قد أَذِنَ لأصحاب العقائد أن يدافعوا عن عقيدتهم، ويمنعوها من أن تُضطهد وتُظلَم ، ولولا أنَّ التشريع الإلهيّ أقرّ لهم ذلك كحقّ تفرضه الفطرة ويدعو اليه النظام..لولا ذلك لم يمكن للعقيدة إلا أن تختنق وتتهدّم وتتلاشى أمام قوة الباطل وطغيانه؛ فلا يستطيع المسلم أن يمارس عبادة الله في مسجده، كما لا

(1) سورة الحج،الآية40.



يستطيع المسيحيّ والموسويّ أن يمارسا عبادتهما في الكنيسة والبِيعة. ومن هنا كان حقُّ الدفاع ضرورة حتميّة للحياة، وشريعةُ الجهاد، قانوناً لازماً لإقامة النظام وحفظ التوازن وتحطيم الطغيان.

وخلاصة القضيّة، أنّ الآية لم تحاول اعتبار الدعوة إلى الدين والإكراه على العقيدة من مبرّرات تشريع القتال والإذن فيه، بلّ كل ما حاولته وأوضحته هو أنْ تجعل القتال نتيجة طبيعية للاضطهاد الذي عانته العقيدة من أعدائها، والعذاب الذي لاقاه أتباع العقائد من الكفار..الأمر الذي جعل تركيز قوّتها وتأكيد منعتها أمراً حتميّاً طبيعياً تفرضه حاجتها للحياة وللحرية، وتقتضيه سُنّة الله في خلقه وعباده.



2 - قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[2]

في هاتين الآيتين يبرز سبب آخر للحرب، ولكنّه سبب يتّصل بقضية العقيدة مباشرة. فقد انطلق المشركون ـ والإسلام لا يزال في بدايته ـ يمارسون عمليّة الضغط بكافّة ألوانه ضدّ المسلمين الذين دخلوا الإسلام من جديد، وابتدأت مظاهر هذا الضغط تتمثّل في المحاولة الدائبة في فتنة المسلمين عن دينهم؛ سواء في ذلك الأساليب التي تتّصف بطابع القسوة والعنف، أو الأساليب التي تتّصف بالخديعة والإغراء.

(1) سورة البقرة، الآية 193.

(2) سورة الأنفال ، الآية 39ـ40.

وهنا وجد الإسلام نفسه مهدَّداً في قضيّة وجوده. فقد أصبحت المسألة مسألة حياة أو موت.. فهو إنْ وقف وسالم وسلك طريق الدَّعَة والمسالمة، فسيجد نفسه وجهاً لوجه أمام الخطر الداهم، في موقف حاسم، لا يستطيع معه الدفاع ولا يتمكّن عنده من التقدّم.

وبذلك كان القتال ـ حيث لم تنفع الموعظة ـ بالنسبة إليه قضيّة حيويّة حتميّة تخاطب واقع حياته، وهو ـ في الوقت نفسه ـ لم يبتدئ بها، وإنّما اضطرّ إليها.. وهكذا أُنزلت هذه الآية لتأمر المسلمين بالقتال مبيّنة لهم أهدافها[1] الدفاعيّة التي تتعلّق بسلامة العقيدة وسلامها، ليكونوا على بيّنَة من أمر الحرب التي يخوضونها، وليكونوا على يقين من شرعيّتها من خلال الأهداف الواضحة بعد أن كانوا على يقين من ذلك من خلال الأمر الإلهيّ المجرّد.. وهكذا بيّنت الآية للمسلمين أنّ من أهداف هذه الحرب أن يُوْقَف المشركون عند حدّهم في عمليّة الضغط التي يمارسونها ضدّ هذا الدين، فلا تعود الفتنة[2] في الدين تهدّد عقيدة المسلمين، ولا يعود الشرك قوّة تضع

---

(1) يذكر جمع المفسرين أنّ (حتى) ـ في الآية ـ بمعنى «إلى» ، فتكون الآية على هذا محدِّدة لأمد القتال، ومبيِّنة لوقته، وعلى ضوء هذا لا تكون الآية واردة لبيان أهداف التشريع وحيثياته، ولكنها لا تخلو من إشعار بذلك نظراً إلى أنّ ارتفاع الفتنة، وسيطرة الدين، إذا كانت غاية تنتهي الحرب عندها فنستطيع أن نفهم منها انطلاق القتال من علّة وجود الفتنة في الدين وسيطرة الكفر على الإيمان كما إذا قلت: تناول الدواء حتى تشفى، فإنّ المفهوم من أنّ الشفاء وإن كان غاية وقتية لتناول الدواء لكنّنا نفهم منه أنه مسبّب عن تناول الدواء. ومع ذلك فإنّ من القريب جداً ـ كما يساعد عليه الذوق العرفي تكون (حتى) ـ هنا بمعنى «كي» للتعليل وهذا ما جرينا عليه في حديثنا عن الآية وتعليقنا عليها.

(2) فسّر كثير من المفسرين ـ كما رُوي ذلك عن بعض الأئمة من أهل البيت(ع) ـ الفتنة بالشرك، وقد ذكر الشيخ الطوسي في تفسيره «التبيان» توجيهاً لذلك بأن الكفر يؤدي إلى الهلاك ولأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، والفتنة إنما هي الاختبار، ولكننا نحسب أن هذا التفسير لا يستهدف بيان المعنى المطابقي للفظ، بل هو جار مجرى التطبيق. فإن الظاهر منها « ما يفتن الناس عن دينهم»؛ وعليه فيكون إطلاقها على الشرك باعتبار كونه أداة فتنة للمسلمين من حيث هو قوة سياسية

العقبات في طريق الدين الحقّ، بل يكون الدين لله.. يلتقي عليه الناس جميعاً في أصالة فطرتهم ونقاء نفوسهم، بما يجعله في داخله من قوة وجلاء ووضوح ويسر وسهولة ومرونة.

وإذا كانت أهداف الحرب التي تتمثّل في الآية هي عدم فسح المجال للفتنة في الدين أن تمتدّ، وإعطاء الحرية للدين بأن ينتشر ويتّسع، بإزاحة العقبات عن طريقه، فلا بدّ لها من أن تقف وتنكمش عند ارتفاع الفتنة وعند بيان قوّة الدين واتّساع مجاله.

وهكذا نرى أنّ أهداف القتال في هذه الآية ليست هي الدّعوة إلى الدخول في الدين قَسْراً، فالآية لم تَقُل: قاتِلوا الناس من أجل أن يدخلوا في الإسلام، بل كلّ ما أرادت قوله وتوضيحه هو إفساح المجال للعقيدة الجديدة الوليدة لأن تمارس دور الدّعوة لنفسها في حرية واطمئنان بعيداً عن كلّ ضغط أو تأثير خارجي، وهو أمر لا نحسب أنّ شريعة من الشرائع، أو قانوناً من القوانين، لا يعترف به أو يقرّه كمورد من موارد الدفاع عن العقيدة واتّباعها.

(3) قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[1].

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ

واجتماعية، كما ذكره في مجمع البيان ـ بعد أن فسر الفتنة بالشرك ـ قال: ومعناه حتى لا يكون كافر بغير عهد كان عزيزاً في قومه يدعو الناس إلى دينه فتكون الفتنة في الدين»، وقد ذكر الطوسي في التبيان، في وجه العدول إلى لفظ الفتنة عن لفظ الكفر ما لفظه « والفرق بين قوله: حتى لا تكون فتنة وبين قوله: حتى لا يكون كفر في أن الذليل والأسير والشريد لا يفتن الناس في دينهم لأن الذل لا يدعو إلى حال صاحبه كما يدعو العز..» والله العالم.

(1) سورة النساء، الآية: 75.

بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾[1].

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

﴿فإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ﴾[3].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ..﴾[4].

﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ﴾[5]

هذه هي بعض الآيات التي نلمح فيها الإشارة ـ من قريب أو من بعيد ـ إلى أهداف الحرب في الإسلام..فترانا نلتقي فيها بقضايا عديدة، سبقت الإشارة إلى بعضها في حديثنا عمّا سبق من الآيات، ونستطيع أن نلخّص هذه القضايا بإجمال في أمور:

أ ـ الانتصار للعقيدة المضطهَدة التي حاول المشركون، ويحاولون بعد ذلك، خنق حريتها. وهذا الذي قد نلتقي به في التعبير بالصدّ عن سبيل الله.

ب ـ الانتصار للمظلومين والمضطهَدين من أتباع العقيدة وأنصارها من

---

(1) سورة النساء، الآية 84.

(2) سورة البقرة، الآية 190.

(3) سورة النساء، الآية 91.

(4) سورة البقرة، الآية 217.

(5) سورة التوبة، الآية 12ـ13.

المستضعفين من الرجال والنساء الذين يستغيثون بالله ويطلبون النصرة في الدّعاء الذي تذكره الآية: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا..﴾[1]

ج ـ إضعاف قوّة المشركين وإحباط بَأْسِهم، لِئَلاّ يبقى الكفر قوّة تمنع الإسلام من متابعة سيره وتحقيق أهدافه الثوريّة والإصلاحيّة.

د ـ دفع العدوان الحربيّ المتمثّل في حركات الكفار الحربيّة ضدّ المسلمين. ونلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ...﴾[3].

هـ ـ قيام المشركين بعملية فتنة المسلمين عن دينهم ومحاولات الرِّدة التي يمارسونها بمختلف الأساليب: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾[4].

و ـ نقض العهود التي عاهد عليها المشركون النبيَّ (ص)، ومحاولة الاعتداء في ذلك.



هذه هي بعض أهداف الحرب وغاياتها التشريعية؛ وهي من الأهداف المتّصلة بحرّية العقيدة، وحريّة أتباعها، وإفساح المجال لها لتمتدّ وتنتشر، ولأصحابها وأتباعها ليقوموا بواجبهم الدينيّ في مهمّة نشر الدّعوة. فقد جاء الإسلام رسالة

(1) سورة النساء، الآية 75.

(2) سورة البقرة، الآية 190

(3) سورة النساء، الآية 91.

(4) سورة البقرة، الآية 217.

عالميّـة ودعوة شـاملة للناس جميعاً، تنظّـم لهم حياتهم وتخطّط لهـم طريقهم الذي يسـيرون عليـه، وتُخرِجهم من الظلمات إلـى النور..فلا بدّ له من ممارسـة دعوته في حريـة تامـة، لأنّه يعتمد في ذلك على مهمة الإقناع التي لـن تتحقّق إلا إذا أُتيح للناس فهم هذه العقيدة الجديدة، والاطّلاع على ما فيها من رخاء وسعادة وضمان لمستقبل الدَّارَيْن.

ومـن الطبيعيّ عـدم توفّر مثل هذا الجوّ في ظلّ الظـروف العصيبة التي يعاني فيها المجتمـع ضغط القوى الكافرة وعدوانها..الأمـر الذي يجعل القيام بصدّ هذه القوى عمليّة دفاعيّة محضة، تمارس فيها العقيدة قضيّة الدفاع عن حياتها ووجودها.

وخلاصـة الحديـث في هذا الجانـب من البحـث أنَّ الرجوع إلى الآيـات القرآنية الكريمة التي عرضت لأهداف التشريع الإسلامي للحرب وغاياته يعطينا نتيجة حاسمة تبعـد الدعوة إلى الدين وإدخال الناس فيـه عن تلك الأهداف التي ذكرها المغرضون والحاقدون على القرآن والإسلام، ولن نَعْدَم الآيات التي تدلّنا دلالة واضحة على أنّ النبي (ص) لو تُرِك وشـأنَه ولم يَعرِض له المشـركون ويقفـوا أمام دعوته ويضطهدوا أتباعه ويصدّوهم عن سبيل الله ويخرجوهم من أوطانهم لَمَا كانت هناك حرب، ولَمَا كان هناك قتال.





دوافع الحرب من خلال القرآن

ولتأكيد دوافع الحروب في الإسلام وأهدافها، يكفي أن نُحيل القارئ إلى تجربة الرسول(ص) في هذا الإطار، فحروبه(ص) كانت تجسيداً حيّاً وصورة أمينة للفكرة الإسلاميّة، فلم تختلف عنها، أو تنحرف عن خطّها العريض في قليل أو كثير.. فإنّنا نلاحظ أنّها لا تخرج عن إحدى حالتين:

حالة الحرب الوقائيّة التي استهدفت إضعاف القوّة الطاغية للشرك والكفر والضلال، حتى لا تتحوّل القوّة إلى تدمير للعقيدة والحياة.

وحالة الحرب الدفاعيّة التي كان الإسلام يدافع فيها عن نفسه ضدّ هجمات الكفر والشِّرك، أو عن الالتزامات والعهود التي نقضها الكفار والمشركون.

ولم نجد هناك معركة استهدفت غير ذلك؛ في كلّ حروب النبيّ ومعاركه، ممّا يجعل القضيّة تعيش في إطار الانسجام التام بين الفكرة والممارسة، وبين النظريّة والتطبيق جملة وتفصيلاً.

ولعلّنا نستطيع الحصول على الوضوح في هذا الموضوع، باستعراض خاطف للأسباب والبواعث التي كانت تدفع النبيّ محمداً (ص) إلى إعلان الحرب على المشركين وغيرهم.

لقد انطلقت الحروب الإسلامية، لتتحرّك في نطاق هذين الهدفين. وبذلك



كانت الفتوحات الإسلامية نقطة انطلاق لتحرير الإنسان من عبودية القوى الطاغية التي كانت تستغلّه، وضغط الأوضاع الشاذّة التي كانت تحيط به، والأجواء المظلمة التي كانت تخيِّم عليه، ليعيش مع مفاهيم الإسلام وتشريعاته الفكرة الإسلامية الأصيلة التي لا يشعر فيها المحكوم أمام الحاكم، إلا كما يشعر الإنسان أمام إنسان مثله، في حدود مواجهة المسؤوليّة التي يشترك فيها الحاكم والمحكوم من أجل تحقيق العدالة في الأرض، كلٌّ في موقعه ومجاله، دون أن يكون هناك أيّ شعور آخر بالقوة الطاغية التي تستعبد وتتحكّم.

وإذا كانت هناك ـ في هذه الفتوحات ـ بعض الانحرافات الطبيعيّة، التي تحدث في أيّ فتحٍ بشري، في الحركة والممارسات والأوضاع الخاصّة التي اقتضاها الانحراف عن الحكم الإسلامي في كثير من مجالاته عن خطّ الإسلام، فإنّ تلك الانحرافات لا ترتبط بالإسلام فكرة ومفهوماً وشريعة وتطبيقاً، وإنّما ترتبط بالأشخاص الذين قد يُسيئون إلى وجهة الفكرة عندما يجلسون في مركز القيادة ظلماً وعدواناً، دون أن تملك تصرّفاتهم صفة الشرعيّة الإسلاميّة، تماماً، كما قال بعض الأوروبيين: الإسلام شيء والمسلمون شيء آخر.

ومَعَ هذا كلّه، فإنّ الواقع الذي حدث في بعض الفترات لم يمنع مفكّراً مهمّاً مثل «غوستاف لوبون» من القول: ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم وأعدل من العرب.





مفهوم الرِّفق في الإسلام

مـن بين العناوين التي تمثّل حركة السلوك في العلاقات الإنسانيّة العامة بين السّلب والإيجاب، مفهوم الرّفق والعنف. والمقصود بالرِّفق، أسلوب اللِّين المنفتح على مشاعر الآخرين، بحيث تُوصل إليهم الفكرة بالطريق الإنسانيّ السلميّ الذي يفتح العقل بسهولة، ويفتح القلب بمحبّة، وبحيث يكون أسلوبك أسلوب اللِّين، عندما تخاطب الآخر بالكلمة اللّيّنة السهلة التي لا تقسو على مشاعره، ولا تثير عصبيّته، ولا تُبعده عن الخطّ المستقيم.

وهكذا عندما تريد أن تتعامل مع الآخر، حتّى لو كان ذلك في داخل العائلة؛ في تعاملك مع أبيك وأمّك، أو مع أولادك وزوجتك ـ سواء كنت رجلاً يتعامل مع زوجته، أو امرأةً تتعامل مع زوجها ـ بأن تعتمد أسلوب اللِّين الذي يحترم مشاعر الآخرين ولا يُسيء إليها، لأنّ ذلك هو السبيل لأن تُدخِل فكرتك في عقل الآخر، وأن تجذبه إليك في عاطفته ومشاعره وإحساسه؛ أن تكون كلمة القلب الذي يجتذب قلب الآخر، كما هي كلمة العقل الذي يجتذب عقل الآخر...

أما العنف، فهو أسلوب القسوة، وقد يتمثّل في الشتائم التي تطلقها ضدّ الآخر الذي لا ترتاح إليه، أو الذي بينك وبينه مشكلة، بحيث تعمد إلى إثارة عصبيّته، أو الضغط على مشاعره، بما يشعر معه أنّك تُسقِط كرامته، وتتحدّى ذاته، وتوحي إليه بأنّك في موقع العلوّ وهو في موقع الأسفل، كالكثيرين من الناس الذين

يتحدّثون مع الآخرين من فوق، لأنّهم يملكون موقعاً للقوّة أمامهم.

وهكذا في كلّ موقع من مواقع علاقتك بالإنسان الآخر، لأنّ مسألة العلاقات الإنسانية هي مسألة تتّصل باحترام الإنسان للإنسان؛ أن تحترم فكره فلا تُسقِطه، بل تحاول أن تعالج خطأه في الفكر، بالأسلوب الطيّب الذي يناقش الفكرة الخاطئة بعقلانيّة وموضوعيّة، بحيث تستطيع أن تقنع الآخر، لأنّك إذا عالجت الفكرة الخاطئة بالتشنّج ـ سواء كان خطأه في السياسة أو في الدين أو في العلاقات الاجتماعية ـ بأن تُضَلِّلَه وتُكفّره وتعنّفه بخطئه، من دون أن تَعرُض وجهة النظر الأخرى، فإنّك بذلك تُغلِق قلبه عنك.

وهذه الفكرة أكّدها القرآن الكريم، سواء في تعاملنا مع الآخر في البيت أو في السوق أو في المجتمعات، فنحن نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] . إذا أردت أن تتكلم مع الآخرين، فتكلّم معهم بالكلمة الأفضل؛ الكلمة التي تجمع ولا تُفرّق، تُحبّب ولا تُبغّض، الكلمة التي تدخل إلى عقل الإنسان الآخر، فتلاحظ مستواه الفكري لترحم فكره وقابليّته، فكما تختار الفاكهة الأحسن، والبيت الأحسن، والثوب الأحسن، لأنَّ ذلك يؤثّر على وضعك الذاتيّ في ما تأكل وتشرب وتلبس، كذلك حاول أن تختار كلماتك، لأنّ الكلمة قد تُدخلك في حرب أو تثير أمامك عصبيّة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[2]. يدخل الشيطان في «عبّ» الكلمة ليفحص ما في داخلها ليخلق لك مشكلة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[3].

(1) الإسراء: 53

(2) الإسراء: 53

(3) الإسراء: 53

الجدال بالأحسن

ثم، إذا أردت أن تجادل الآخرين ـ ونحن نختلف في الدين والمذهب والسياسة والعلاقات الاجتماعية ـ ومن الطبيعي أنّ هذا الاختلاف يَجُرُّ إلى جدل حول كلّ القضايا المختلَف عليها ـ فكيف تجادلهم؟ الله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. وحتى في الحوار مع أهل الكتاب، فإنّ الله تعالى يأمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن. وإذا كان عندك عداوة مع الآخر، فإنّ الله يأمرك أن تختار الأسلوب الأحسن لكي تحوّله إلى صديق: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ـ وهي أسلوب الرفق ـ وَلا السَّيِّئَةُ ـ وهي أسلوب العنف ـ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ـ وهذه تحتاج إلى جهد وأعصاب قوية ـ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2] وهذا هو الذي يجعلنا نربح العالم.

هناك من الناس مَنْ تجده غير مستعد لأن يناقشك أو يحاورك، بل يستعرض قوّته وعضلاتِهِ، ولذلك استثنى الله تعالى في الجدال مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن الذين ظلموا، لأنّه تعالى قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[3]، وهو ما يعلّمه الله تعالى لنبيّه نوح(ع)، عندما كان قومه يسخرون منه وهو يصنع السفينة في مكان لا ماء فيه، فالله تعالى قال: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[4]، أما الذي يحاورك فحاوِره بالتي هي أحسن، لأنّ الله تعالى يضع كلّ شيءٍ في موضعه.

---

(1) النحل:125

(2) فصِّلت:34ـ35

(3) البقرة:194

(4) هود:38

أسلوب الرفق والرحمة هو الأصل

في الإسلام، الأصل في سلوكيّة الإنسان هو الرِّفق؛ أن يعالج الإنسان كلّ قضاياه، في نفسه وفي علاقاته مع الآخرين، بالأسلوب الطيِّب الليّن، في الكلمة وفي العمل، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله الكريم، مشيراً إلى طريقة تعامله مع أصحابه ومع الناس: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، ولذا كان(ص) يتعامل في خطابه مع أهله وعياله وأصحابه وكلّ الذين يتعاملون معه، بالكلمة الطيبة والليّنة التي تفتح في الإنسان الآخر عقله وقلبه. فالناس إنّما اتّبعوك ـ يا محمد ـ لأن أسلوبك هو الأسلوب الذي يحترم الناس، فلا يقسو أو يَغلُظ عليهم، ولا يفحش فيهم، فلم تكن ـ يا محمد ـ في كلماتك فحّاشاً تتكلّم مع الناس بكلمات الفحش، ولم تكن لعّاناً بحيث تلعن من يختلف معك، بل كنت الإنسان الرحيم الرؤوف الذي يدرس نقاط الضعف في الناس، فيرحم ضعفهم، ولا يحاول أن يضغط عليهم بها.

فالله سبحانه يؤكّد للرسول(ص) أنّ سرّ نجاحه الرساليّ واستماع الناس إليه والتفافهم حوله، لأنّه كان الرسول الذي امتلأ قلبه بالرقّة تُجاه الناس، وتحرّك لسانه بالكلام اللَّيِّن الذي ينفذ إلى قلوبهم ليتحرّك نحو عقولهم، حيث كان ينظر إليهم نظرةً إنسانيّة تتجاوز كلّ المراتب، وقد جعله الباري في أعلى مرتبة في البشرية، فكان الرفيق واللَّيِّن الذي يعفو عن كثير من الناس إذا أخطأوا معه. فالإنسان الرساليّ القائد، عليه أن يقدِّر ظروف أتباعه وظروف الناس الذين يعيشون معه، فيعفو عن أخطائهم إذا أخطأوا معه، ويعالجها بحكمة ورِفق، ويعطيهم الثّقة بأنفسهم، لأنَّ من سِمات القائد أن ينمِّيَ فكر أتباعه، حتى يتحرّكوا معه من خلال

(1) آل عمران:159.

ثقافتهم في الأمور التي ينطلق بها القائد: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1]، شاورهم في الحرب أو السلم، أو في القضايا التي تتحرّك في تنظيم المجتمع، وادفعهم إلى أن يفكّروا، ولا تجعلهم مجرّد أناس يتّبعون القيادة دون أن يفهموا القضايا التي تقودهم إليها. إصنع من كلّ واحد منهم مشروع قائد، واجعلهم يتعوّدون على التفكير وعلى التخطيط، حتى إذا ما دخلوا مع القيادة في أيِّ مشروع، عاشوا وعي المشروع كما تعيشه القيادة، خلافاً للكثير من القياديّين الذين ينظرون إلى أتباعهم كما ينظر الشّخص إلى فئة من الجهّال الذين لا يملكون إلا أن يهتفوا أو يصفّقوا...

ونحن نعلم أنّ النبي(ص) زوّده الله بالمعرفة القدسيّة التي لا يحتاج معها إلى أيّة مشورة، ولكنَّ الله يريد من خلال رسوله أن يقدّم لنا الأنموذج في تربية القاعدة على أن تفكّر، وكيف تنقد القائد، لأنّ القيادات المستقبليّة ليست كلّها رسولَ الله. لذلك على القيادة أن تتشاور مع القاعدة، وأن تعرض عليها خططها؛ إلا الخطط الاستراتيجية التي لا يمكن أن تعرضها بشكل عام، ولكن هذه لا بدّ من عَرضِها على أُولي الخبرة وأولي الأمر: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

الرسول الأُسوة والقدوة

فنحن نقرأ أنّ النبي(ص) كان الرسول الذي يرفق بأصحابه وبالناس من حوله، وقد صوّره الله سبحانه وتعالى بصورة أكثر وضوحاً، عندما خاطب المسلمين

(1) آل عمران:159.

(2) آل عمران:159.

ليعرّفهم شخصيّته(ص): ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

هذه كانت صفة الرسول الذي يرأف ويرحم ويحمل هموم أمّته، ويلين في كلامه وفي قلبه، كان شأنه الرِّفق وحلّ الأمور بالرِّفق. وعلى كلّ القادة في كلّ المواقع، سواء كان الموقع فقهيّاً أو سياسيّاً أو اجتماعيّاً أو أمنيّاً، أن يقتدوا برسول الله، لأنّ الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[2]. وهذا ما ينبغي للإنسان المؤمن أن يأخذ به، وأن يعالج الأمور بالطريقة السلميّة التي ترفق بالإنسان الآخر حتّى وهو في معرض الردّ عليه. فإذا ما حصلت مشكلة مثلاً، ودار الأمر في حلّها بين الرِّفْق والعنف، فإن تمّت معالجتها بالرِّفْق، فإنَّ الله يثيب الإنسان أكثر ممّا لو عالجها بطريق العنف. وهذا ما نجد مصداقه في قوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3].

الإسلام دين الرحمة

والميزة الثانية من جملة المميّزات التي تضمّنها الدين الإسلامي الذي أنزله الرحيم على قلب النبي محمد(ص) الرحمة، قال تعالى في محكم كتابه:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ

(1) التوبة:128.
(2) الأحزاب:21.
(3) فصِّلت:34.

﴿يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

تلتقي هذه الآية الكريمة بالصورة المشرقة المتمثّلة في رسول الله(ص)، في قلبه الرحيم الرقيق الذي يتّسع لكلّ مشاكل المسلمين وأخطائهم، فلا يتعقّد ولا يتشنّج ولا يضيق ولا يقسو، بل ينفتح ويتّسع ويرقّ ويلين، وفي أسلوبه الرقيق الذي يتفايض بالأحاسيس الطيبة والمشاعر الطاهرة، والنبضات الرحيمة .. فلا تتحرّك كلماته من موقع قوّة لتؤذيَ المشاعر، ولا تنطلق من حالة فظاظة لتُدميَ الإحساس، بل هو اللِّين والرّحمة والعطف والعاطفة والحميميّة التي تدخل إلى القلوب بكلّ عفوية وبساطة ومحبّة...

وتلك هي شخصيّة الإنسان الرساليّ في ما يريده الإسلام للرسالة من سِمات في حركة الرَّسول والدّاعية، فقد ينبغي أن نتعلّم من شخصيّة رسول اللّه في خطواته العمليّة في أسلوبه في الدّعوة، أنَّ علينا التوقّف أمام حقيقة إنسانيّة إسلاميّة، وهي أنَّ أخلاقية الرَّسول أساسيّة في حركة الرسالة، فلا يكفي في نجاحه أو نجاحها أن يملك الفكر العميق الذي يستطيع من خلاله أن يقنع الآخرين بالحجّة والبرهان، أو يملك القوّة العظيمة التي يسيطر بها على خصومه بالوسائل العنيفة القاسية، بل يجب أن يتّصف بالأخلاق العالية التي لا تعيش في خارج ذاته بطريقة تمثيليّة ظاهريّة، بل تتعمّق في داخل الذات رحمةً ومحبّة وانفتاحاً على النَّاس ووعياً للظروف الموضوعية المحيطة بهم، ليكون التعامل معهم من موقع الفهم الواعي لمشاكلهم الحقيقية ولنوازعهم الذاتية، فتتحرّك الرّحمة في نفس الرَّسول، في ممارسته لأسلوب رسالته، في دراسة كلّ المؤثّرات في ما يختاره من الكلمات اللّطيفة والأساليب الحكيمة والأجواء الموحية، لتصل الدّعوة إلى قلوب النَّاس

---

(1) سورة آل عمران، الآية 159.

في الوقت الذي تصل فيه إلى عقولهم، لأنَّ قيمة الرسالة في حركة الشخصيّة الإسلامية، تتمثّل في تحوّلها إلى وعي للفكرة في عمق الذات وانسجام عفويّ مع كلّ آفاقها وأفكارها، بحيث تنطلق منها انطلاقة النهر من قلب الينابيع والشّعاع المتفجّر من قلب الشمس.

وهكذا كان رسول اللّه (ص) في أسلوب رسالته الذي يمثِّل أسلوب شخصيّته في خُلُقه العظيم وقلبه الكبير، فاستطاع من خلال ذلك أن يُدْخِلَ الرسالة إلى كلِّ قلب، وأنْ يطلق صوتها في كلّ فم، وأن يحرّك شريعته في قلب كلّ مساحة من مساحات الحياة... وهذا هو سرّ نجاح الداعية في الدّعوة، فليس له أن يستسلم لنوازعه الذاتيّة ليفرضها على الدعوة، بل ينبغي له أن يصوغ شخصيّته صياغة إسلاميّة، تنبع من روح الإسلام وخُلُقِه كما تتحرّك مع فكره، ويترك مزاجه الشخصيّ لأجوائه الفرديّة التي تبتعد عن جوّ الدّعوة والعمل.

سرّ العظمة في أخلاق النبيّ (ص)

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ﴾[1] أي بسبب الرّحمة التي رحم اللّه بها المسلمين الذين اتّبعوك وآمنوا بك، وما أودعه في شخصيّتك الرساليّة من محبّة لهم وانفتاحٍ على قضاياهم وإحساسٍ بالمسؤولية في تثبيتهم على الخطّ الإيماني والتزامهم به، وفي إبعادهم عن حالة الاهتزاز النفسي التي قد تحرّكها في الذات الأجواء السلبيّة، التي قد تسيطر عليها من خلال ردود الفعل على قسوة هنا وغضبٍ هناك، وتشنّج من الداعية في بعض المواقع، ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ فكنت الرقيق في أسلوبك وكلامك معهم وخطابك لهم، والرّقيق في نبضات قلبك أمام آلامهم

(1) سورة آل عمران، الآية 159.

وأحلامهم ومشاكلهم، والمتسامح معهم إذا أخطأوا، والمتساهل معهم إذا خالفوا تعاليمك.. وذلك هو سرّ العظمة في أخلاقه النبويّة وروحيّته الإنسانيّة وسلوكيّته الإسلامية التي تعمّق إحساس النبيّ بالآخرين في خطّ الانتماء، وانفتاح الإنسان على النَّاس الذين يلتقي بهم في الخطّ الفكري والعملي، لتأكيد الانتماء والعلاقة القوية وحركيّة المسلم الداعية في تقوية روحيّة المسلمين في مواقع الصراع.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً﴾ أي فظّ اللّسان والطباع، خشن المعاملة، سيّئ الخُلُق، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ في قسوة الإحساس الداخلي في خفقاته ونبضاته بالطريقة السلبيّة، ﴿لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي لتفرّقوا عنك، لأنَّ النَّاس يبتعدون عن أيّ شخص يُغلق قلبه عنهم، ويقسو في المعاملة معهم، ويضغط بالخُلُق السيِّىء على مشاعرهم، لأنَّ النفس مجبولة على النفور ممّن يُسيء إليها، كما هي مجبولة على حُبّ من أحسن إليها. وهكذا كنت ـ يا محمَّد ـ تمثّل الرَّسول القائد الذي ينطلق بروحيّة الرسالة وعفويّة الإنسانيّة لاحتضان النَّاس الذين اتبعوه وعاشوا معه، كوسيلة من وسائل تأكيد قوّة الرسالة في جمهورها والتزام جمهورها بقيادتهم الحكيمة الحميمة.

عفو الرسول(ص) عن المسلمين

ولا بُدَّ للرَّسول في الدّعوة، وللداعية في وعيه للعمل، من أن يعيش الأجواء الواقعية للمسلمين في ما يقعون فيه من الأخطاء، أو يتأثّرون به من الانحرافات، أو يخضعون له من الضغوط الخاصّة والعامّة، انطلاقاً من حركة الصراع في داخل النفس التي قد تؤدّي إلى الحقّ، وقد تقع في قبضة الباطل، وذلك بإفساح المجال لهم للتراجع عن الخطأ، والاستقامة في مواقع الانحراف، والرجوع إلى



الحقّ في مواطن الباطل... بالابتعاد عن الإيحاء الدائم بذلك كعقدةٍ مستعصيةٍ غير قابلة للحلّ، أو كجريمةٍ غير خاضعة للعفو، فلا بُدَّ من إعطاء المجال للعفو عن كلّ ذلك والمغفرة للفاعلين، للإيحاء لهم بأنَّ الخطيئة ليست ضريبة مفروضة على الإنسان، وأنَّ الانحراف ليس قَدَرَ الإنسان في حركته في الحياة، بل يمكن له أن يتحرّر من هذا أو ذاك في عمليّة تجديد الشخصية في خطّةٍ روحيّة فكريّة عمليّة، تحتوي كلّ أوضاع الإنسان في كلّ ما يقوله وما يفعله، وهذا ما أراد اللّه سبحانه أن يثيره أمام رسوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ داعياً له إلى العفو عن المسلمين الذين يُخطئون في حالة السلم وفي حالة الحرب، في ما يتعلّق بحقوقه كرسول وقائد وحاكم... وإلى الاستغفار لهم في ما يتعلّق بحقوق اللّه من ترك طاعته والإقبال على معصيته، ليستقيم لهم الطريق من جديد، وتتحرّك الطاعة في حياتهم على طريق اللّه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] لأنّك جئتهم بالرسالة التي تنفتح عليهم في كلّ أمورهم لتقودهم إلى الصراط المستقيم في الدنيا، وإلى النعيم الخالد في الآخرة، وتثير فيهم كلّ نوازع الخير، وتبتعد بهم عن نوازع الشر، وتركّز العلاقات فيما بينهم على أسس ثابتة من القيم والمبادىء، فلا تهتزّ ولا تنحرف ولا تسقط بفعل المطامع والأهواء والشهوات، وتوحي إليهم بالسلام الروحي الذي يطوف بهم في كلّ آفاق الصفاء والنقاء والإشعاع والإيمان والهدوء النفسي القائم على الخير والعدل والحياة.

أمّا رحمته في شخصه، فقد كان يمثّل الخُلُق العظيم الذي ينساب في قلب كلّ من حوله حبّاً وعاطفةً وروحاً وخيراً وسلاماً... وهكذا اجتمعت فيه رحمة

(1) سورة الأنبياء، الآية 107.

الرسول، ورحمة الرسالة في الفكر والحركة والإنسان والحياة.

وهذا هو ما يجب أن يعيشه المسلمون في دعوتهم للإسلام، وفي ممارستهم له، وفي حركتهم من أجله، وذلك بتجسيد الرحمة في مواقفهم وكلماتهم وعلاقاتهم وروحيّتهم في كلّ المجالات، لا أن تكون الرحمة حركة انفعال، بل أن تكون موقف حقٍّ وخيرٍ واستقامةٍ وإيمان، لأنّ الرحمة تمثّل العمق في شخصيّة الإنسان الفكريّة والعمليّة، فتتفاعل في كلّ دوائره الصغيرة أو الكبيرة، ليكون القدوة في الرّحمة، والرّحمة في القدوة، ﴿**قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[1] فهو الذي وحّد الحياة في ربوبيّته، وفي خلقه، وهو الذي يريد للناس أن يتوحّدوا في عبادته، وفي شريعته، وفي منهجه في حركة الحياة، لأنّه يريد للبداية أن تحكم النهاية، كما تحكم الخطّ الذي يربط بينهما، فلا يريد الانحراف والالتواء والابتعاد عن الاستقامة في الخطّ الذي هو المظهر الحقيقي للوحدة.

قل لهم ـ يا محمد ـ هذا الوحي التوحيديّ، ليُقبِلُوا عليه، وليسيروا في خطّه، وليؤمنوا بنهجه، وليجعلوه قِمّة الوعي العقيديّ والشعوريّ والعمليّ في حياتهم كلّها.



(1) سورة الانبياء، الآية:108.



الإسلام دين الرِّفق

ومن هذا المنطلق، وبالعودة إلى مفهوم الرّفق ومصاديقه، كنّا نقول لكثير من الإعلاميّين، وخصوصاً الغربيّين منهم، إنّ الإسلام يعلّمنا أن نكون أصدقاء العالم، وأن نتّبع الأساليب التي تجعلنا نربحهم كأصدقاء، ويعلّمنا أن لا نقاتل إلا مَنْ قاتَلَنا من باب الدفاع عن النفس.

وهكذا، نلاحظ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1] وفي حديث للنبي(ص) يقول فيه: «**لو كان الرِّفق خَلْقاً يُرى ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه**»، وورد أيضاً في الحديث: «**إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب رِفْق**».

هذا هو الخطّ الإسلامي: الرِّفق لا العنف. ومن خلال ذلك، لا بدّ من أن ندرس هذه المسألة دراسة واقعيّة عمليّة، لأنّ الرِّفق هو الذي يسمح بأن يكون مجتمعنا مجتمع عدل وسلام ومحبّة، لأنَّ أغلب المشاكل التي تَحدُث في المجتمعات الإنسانيّة هي نتيجة تعامل أفراده بعضهم مع بعض بأسلوب العنف، بحيث يَعنُف القويُّ على الضعيف، وكذلك يَعنُف الضعيف الذي يمتلك مقداراً من القوّة على من هو أضعف منه...

---

(1) سورة الإسراء، الآية 53.

الارتباط بين الإيمان والرِّفق

ومن هنا، فإنّ الله تعالى يوحي إلينا أنّ النبي(ص) استطاع من خلال أسلوبه أن يجذب الناس إليه، وأن يجعلهم يؤمنون برسالته ويلتفّون حوله. وقد ورد عن النبيّ(ص) ـ وهو يتحدّث عن هذا الخُلُق الإنساني ـ: «**إنّ الرِّفق لم يُوضع على شيء إلا زانه** ـ إلا حسّنه، فإذا كنت رفيقاً، فإنَّ الرِّفْق عندما تستخدمه في علاقتك أو معاملتك مع الآخرين، فإنه يحسّن الموقف ـ **ولا رُفِع عن شيء** ـ فاستبدلت العنفَ بالرِّفق ـ **إلا شانه**»، إلا عابه، ويقول(ص): «**إنّ الله رفيق يحبّ الرِّفق، ويُعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العنف**»، فإذا حاولت أن تحلّ المشكلة بالأسلوب اللّيِّن، فإنّ الله يعطيك من الأجر على حلّ الأمور بهذا الأسلوب اللّيِّن أكثر ممّا يعطيك على حلّك إيّاها بالأسلوب العنيف.

وفي ذلك قصّة حصلت مع النبي(ص)، حيث كان جالساً، وكانت زوجته أم المؤمنين عائشة إلى جانبه، ومرّ يهوديٌّ وألقى التحية على النبي(ص) بطريقة لا تتضمّن التحيّة، بل تتضمّن الدعاء بالموت على النبيّ من دون أن يجهر بذلك، فقال اليهودي: «السّام عليك»، والسّام هو الموت، أراد بذلك أن يمرّر هذه المسألة على النبي ليسخر منه عند جماعته، فأجاب النبي بكلّ هدوء: «**وعليك**»، فثارت ثائرة عائشة، ولم تلتفت إلى ردّ النبي(ص)، فالتفت النبيُّ (ص) إليها بكلّ هدوء وقال لها: «**يا عائشة، إنّ الفحش لو كان ممثَّلاً لكان مِثال سوء، إنّ الرِّفْق لم يوضع على شيء قطّ إلا زانه، ولم يُرفع عنه قطّ إلا شانه**». وأوضح لها بما ردّ به على اليهودي.

هذا منهج أخلاقي ينطلق به رسول الله(ص)، ليقول لنا إنّه حتى في مورد الإساءة، يمكن أن نردّها بمثلها من دون أن نزيد عليها ونخلق مشكلة، والله

تعالـى قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[1] ، هذا من أجل أن يخلق حالة السلام في حياة الناس. وقد رُبطت مسألة الإيمان بالرفق، ففـي الحديث عن الإمـام الباقر(ع) يقول: «**من قُسِـمَ له الرِّفق قُسِـمَ له الإيمان**»، ثم يقول: «**إنّ لكلّ شـيء قفلاً، وقفل الإيمان الرفق**»، باعتبار أنَّ الإنسـان الذي لا يرفق، فإنه يستبدل ذلك بالعنف، وإذا أخذ بأسلوب العنف، فقد يحمله ذلك على أن ينطلق بالغضب، سواء بالقول أو بالفعل، وربّما يقوده هذا الغضب الذي يفقد الإنسـان فيه توازنه وعقله، إلى أن يُخرِج الإيمان من قلبه، فالرِّفق يُغلق أسـلوب العنف من أجل حفظ الإيمان.

ونقـرأ فـي حديث الإمام الصـادق(ع) أنّه قـال: «**ما زوي الرِّفق عـن أهل بيت إلاّ زُوي عنهـم الخيـر**»، لأنّ العنف يقود إلى الشـر. وفي كلام للإمام الكاظم(ع) كان يقـول لبعض أصحابـه: «**إرفق بهم، فإنَّ كُفْرَ أحدهم فـي غضبه، ولا خير في مَـنْ كان كفـرُه في غضبه**». ونقرأ أن النبي(ص) يريد لنـا أن نرفق حتى في تعاملنا مـع الحيوان، وليس فقط مع البشـر، فقد ورد فـي الحديث عنه(ص) أنه قال: «**إنّ اللـه يحـبّ الرفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجــف** ـ الهزيلـة ـ **فأنزلـوها منازلهـا** ـ بحيـث تنزلونها في المنـازل التي تنتفع بها ـ **فـإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عنها، وإن كانت مخصّبة فأنزلوها منازلها**».

ويقول النبي(ص): «**لو كان الرِّفق خَلقاً يُرى ما كان ممّا خلق الله شيء أحسن منـه**». ويتحـدّث(ص) عن الناس الذين يترافقون في السَّـفر أو فـي أيّ موقع من المواقـع، أن اللـه يعطـي الأجر أكثر لمـن يكون رفيقـاً بصاحبه فيؤنسـه ويرعاه، يقـول: «**مـا اصطحب اثنـان إلا كان أعظمهمـا أجـراً وأحبّهما إلى اللـه عزّ وجلّ**

---

(1) سورة البقرة:194.

أرفقهما بصاحبه». هذا بالنسبة إلى الصاحب، فكيف بالزوج أو الزوجة، فأحبّ الزوجين إلى الله وأعظمهما أجراً عند الله من كان طيّباً ورفيقاً مع صاحبه، فلا يعنف به ولا يقسو عليه، وهكذا بالنسبة إلى الأب مع أولاده، والأخ مع إخوته، وصاحب العمل مع عمّاله، وكذلك في كلّ المجالات. وفي حديث الإمام الصادق(ع)، نقرأ أنّ الرِّفْق لا يعود بالمنفعة في الجانب الأخروي، بل حتى في الدنيا، يقول(ع): «**من كان رفيقاً في أمره، نال ما يريد من الناس**»، لأنّ من طبيعة الناس وسجيّتهم أنّهم إذا رأوا الرفق من شخص أحبّوه وعاونوه.

الرِّفق في المعاملة والمسؤوليّة

نحن أمام كلّ هذه الأحاديث عن رسول الله(ص) والأئمّة من أهل البيت(ع)، بحاجة إلى أن نأخذ بهذا المنهج الأخلاقيّ التربوي، وهو منهج الرِّفق في المعاملة والمعاشرة والمسؤوليّة، حتى إنّ الله تعالى يريد للإنسان عندما يأخذ بأسباب الدين، أن لا يقسوَ على نفسه، فنقرأ في حديث النبي(ص): «**إنّ هذا الدّين متين، فأوغِل فيه برِفق، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربك** ـ تصوّروا شخصاً يصلّي من الصبح إلى اللّيل، ويصوم طول الدهر، فمِن الطبيعي أن يضعف التوجّه عنده في الصلاة، لأنّ النفس تريد أن ترتاح، فإذا قسوتَ على نفسك وحاصَرْتَها ومنعتَها من أن تنفتح على حاجاتها، فإنّها تتعقّد من كلِّ هذا الأسلوب ـ **فإن المنبتّ** ـ وهو الذي يمشي بالدّابة ليلاً ونهاراً، بحيث لا يُريح دابته ـ **لا ظهراً أبقى، ولا أرضاً قطع**»، فإنّه قد لا يصل إلى منتهى الطريق، بل ينقطع في منتصفه. ويُروى عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «**رآني أبي وأنا أتصبّب عرقاً في الطواف، فقال لي: يا بني، إنَّ الله يرضى منك بأقلَّ من ذلك**».



إنّنا نُجهد حياتنا بالعنف، سواء في حياتنا الاجتماعيّة أو العائليّة أو السياسيّة أو الدينيّة، وعلينا أن نحوّل مجتمعنا إلى مجتمع الأخوّة الإيمانيّة والصداقة والمحبّة، حتّى نكون كما قال النبي(ص): «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها**».

رفض العنف ضدّ المرأة

هناك نوعٌ من التمييز العنصري يمارسه الرجل ضدّ المرأة بشكل عام، حتى في الدول التي تسمى «متحضّرة»، حيث يتمثَّل العنف هناك في جوانبَ عدّة، سواء تمثّل ذلك في ضرب المرأة أو تعذيبها أو قتلها، أو في عمليات الاغتصاب وبشكل فوق العادة، وقد بدأنا نلمس هذه الظواهر في مجتمعاتنا من خلال البرامج التلفزيونيّة الإباحية أو غيرها من الوسائل، وقد كشفت بعض الدراسات الصادرة عن الأمم المتّحدة، أن أكثر من يُصاب بالأمراض المعدية كالإيدز (فقد المناعة) النساء، وذلك من خلال ما يمارسه الرجل من عنف ضدّها وبأشكال متعدّدة. إنَّ هذا النوع من العنف مرفوض إسلامياً بالمطلق.

ففي الحياة الزوجية على سبيل المثال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾[1]، كذلك يخيّر الله الإنسان الزوج في الحياة الزوجيّة: ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾[2].

وهناك من الرجال من يحاول أن يهجر المرأة دون أن يطلّقها، وبعضهم من تبذل له المرأة كلّ المهر وربّما ما يفوقه ولا يطلّقها، والله تعالى يقول: ﴿**وَلاَ**

---

(1) النساء:19.

(2) البقرة:229.

تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[1] ، وهو سبحانه يُبيّن لنا أنّه لا يجوز للإنسان أن يأخذ مهر زوجته بالإكراه: **﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾**[2].

وهناك نوع آخر من أنواع العنف، يتمثّل بطرد الزوجة من بيتها، فهذا حرام، لأنه يجب على الرجل أن يُسكِن زوجته في البيت ما دامت هي في دائرة الزوجيّة، كما إنّ الزوجة في المقابل لا يحقّ لها أن ترفض معاشرته، إذا لم يكن هناك خوف على حياتها أو ضغط فوق العادة.

وهناك مسألة ضرب الزوجة، فالإسلام لا يفرّق في الحرمة بين ضرب الزوجة وبين ضرب مَنْ هي من غير المحارم. هذا العنف محرَّم شرعاً. وكذلك يأتي عنف الكلمة عندما يسبُّ الزوج زوجته أو يشتمها، وهو أيضاً محرّم، لأنّه لا فرق بينها وبين أيِّ امرأة في المجتمع، فالعقد الزوجيّ هو كأيِّ عقد آخر، يجب على الزوجين الالتزام به، والعقد إنّما يُحلِّل للزوجين ما كان محرَّماً عليهما، في العلاقة الخاصّة، وكل ما يتّصل بها، وهو يُلقي على الرجل مسؤولية الإنفاق وما إلى ذلك: **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾**[3] .

العقد الزوجي لا يجعل المرأة أو الرجل أحدهما مستعبَداً للآخر، وينحصر الأمر في الحقوق التي قضاها العقد لكليهما، حيث أراد الله سبحانه وتعالى للزوجين أن تكون الحياة الزوجيّة بينهما على أساس المودّة والرحمة: **﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾**[4]، فهما زوجان في الجسد، ولكنهما أَخَوَان في الدين.

---

(1) النساء:19.

(2) النساء: 21.

(3) البقرة:228.

(4) سورة الروم، الآية 21.

وكذلـك بالنسـبة إلـى البنت، فليس لـلأب ولا للأخ سـلطة علـى البنت، بأن يضربها أو يشـتمها؛ صحيح أنّها ابنته، إلا أنّها أخته في الإيمان، وإن كان له عليها حـقّ الولاية، إلا أنّ ذلـك لا يعطيه الحقّ بأن يضربها، إلا فـي حال التأديب، وإذا ضربها واحمرّ مكان الضرب فعليه أن يدفع الدِّيَة.

لا للعنف الاجتماعي باسم الدين

ولذلـك، قلنا في عاشـوراء، وأصدرنا فتوى تحرّم علـى الذين يَنذُرون أولادهم للتطبيـر[1]، لأنّ اللـه سـوف يعاقبهم على ذلـك، لأنّه ليس للأب ولايـة بأن يجرح ابنـه، وإن كان يريد بذلك أن يُعلِّم ابنه حبّ الحسـين، فالحسـين(ع) لا يقبل القيام بمثـل هذه التصرّفات، لأنها تمثّل التخلّف، بل يريد منّا السَّير على خطّه ومنهجه. فالتلفزيونات العالمية تُبرِز صورةً سيئةً عن المسلمين، تُصوِّر رجلاً وبين يديه ولده الـذي ضُرب على رأسـه والدماء تسـيل على وجهه، والولد يبكي بـكاءً يقطّع نياط القلب، وقد كتبت إحدى الصحف الكندية: «هذا يُعمل باسـم الله»، أي إنّ تعذيب الأطفال بهذه الطريقة الوحشية يرتكب باسم الله، وفي هذا تشويه لصورة الإسلام والمسلمين، والمؤسف أنّ هذه الحالة تزداد جراء العصبيّات.

ومن العنف أيضاً أن يمنع الرجل أخته أو ابنته من التزوّج بالكفؤ وما إلى ذلك، وقد يدفعها جرّاء هذه الممارسات إلى القيام بـ «الخطيفة»[2]، وساعتئذٍ:

لا يسلمُ الشَّرَفُ الرفيعُ مِنَ الأَذى ... حتَّى يُـراقَ على جوانبِهِ الـدَّمُ

تحـت عنـوان أنّـه يريد أن يغسـل العار، وهو مـن دفعها إلى القيـام بمثل ذلك برفضه القبول بزواجها ممّن ترضاه زوجاً لها.

---

(1) عادة جرح الرؤوس بالآلات الحادة في عاشوراء، وهي محرّمة شرعاً.

(2) وهي أن يتّفق الشاب والفتاة على أن «يخطفها» برضاها ويعقد العقد من دون إذن أهلها.

وهنـاك أنواع أخرى من العنـف الاجتماعيّ، حيث يفرض القويّ، سـواء كان حزبـاً أو شـخصاً أو جماعـةً أو حركةً، قُوَّتَه على النـاس دون وجه حقّ، لأنّه يريد أن يُخضِعَهم لسـلطته، وأن يمنع الناس من ممارسـة حريتهم في ما يعتقدون وفي ما يؤمنون به... وهناك نوعٌ من أنواع العنف يُمَارس باسم الإسلام وباسم الدين.

ولذلـك، قلنا بضرورة الاهتداء بثقافة رسـول الله(ص) التي هي ثقافة القرآن، وأن نحاول أن نأخذ بأسباب الرفق وأسباب اللِّين في حياتنا العائليّة والاجتماعيّة والسياسـيّة. هذا هو مظهر الحضارة؛ أن نعتـرف بالآخر ونحترمه، وليس كما هو سـائد، أن كلّ مـن ليس معك فهو كافر، أو زنديـق، هذا ضالٌّ وذاك مُضِلٌّ وما إلى ذلك. وللأسف، لقد أصبحت ظاهرة متفشّية بين مختلف الشرائح وعلى مختلف المستويات، والفتاوى بالقتل مستعرة من كلّ حدب وصوب، والنبي(ص) يقول: **«ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يلعن بعضكم بعضاً ويضرب بعضكم رقاب بعض»**.

هذا هو الإسلام، فلا يقتصر الإنسان في إسلامه على الصلاة والصيام والحج، بـل يجـب أن يكون ذلـك مقروناً بمعاملـة جيدة مـع الناس، وهكذا كان رسـول اللـه(ص)، وهذه قيمة صلاة الجمعة وكلّ الصلوات والمواعظ، أنها تعلّم الناس كيـف يواجهون قضاياهم الاجتماعيّة والسياسـيّة والروحيّـة، حتى تكون صلاتنا مدارس، وليسـت مجرّد ركوع وسـجود: **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْـواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**[1] .



(1) الجمعة:11.



الإرهاب: المفهوم والأبعاد

هناك من يعتقد أنّ علاقة الإسلاميّين بالغرب تنطلق من تصوّر مُسبَق يحكمها، فيعتبر أنّ الغرب كلّه استعمار، ولكنّ الحقيقة عكس ذلك، حيث يفرّق الإسلاميون بين ممارسات الغرب السياسيّة والاقتصاديّة تُجاه العالم الإسلامي والشعوب الأخرى، وبين ما ينتجه العالم الغربيّ من «فكر وعلم وتجربة وإنسان يبحث عن حقيقة»، والصورة المرفوضة من جانب عالمنا هي تلك الصورة الإرهابية التي يبرّر فيها سفك الدماء وكلّ الجراحات وكلّ مأساة الإنسان حيث ترتع في ذلك العالم «مافيات» تقبع في كلّ زوايا المجتمع في المؤسّسة، في الإدارة، في المدرسة، حتى أصبحت تلك المواقع مسرحاً للجريمة إذ يخرج من تلك المدارس طفل مسلّح ليقتل رفاقه وأساتذته.... وهذا ما لم نشاهد له مثيلاً في مجتمعاتنا على الرغم من اتّهامها بالبدائيّة والقصور والسطحيّة.

الإسلام ومفهوم الإرهاب

إنّ القضيّة عندنا في الإسلام، وبكلّ بساطة، هي تأكيد الإسلام على احترام الإنسان، أيّ إنسان، سواء أكان مسلماً أم كافراً، وذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾[1]، ومؤدّى ذلك أن يتعاطى المسلم مع من لا يحاربه في دينه، ولم يُخرجه من أرضه بالإحسان إليه والعدل معه، وفي العدل معه أن يحفظ

(1) سورة الممتحنة، الآية: 8.

له كلّ حقوقه بما في ذلك حقّ الحياة لكن له كلّ الحقّ في أن يرفض الظلم وكلّ من يساهم فيه، أن يحارب كلّ من يحاربه ويساعد على إخراجه من دياره، وهذا حقّ مشروع تُقرّه كلّ الأعراف والمواثيق الدولية، والمواقع الحضارية، ولكنّهم بالرغم من ذلك يتحدّثون بأنّ «الإسلام يحمل سيفاً يسلّطه على العالم، وهذا هو حديثهم عن الجهاد الذي هو في المفهوم الإسلامي كالقتال في كلّ موقع حضاريّ آخر..».

تأصيل المصطلحات والمفاهيم

إنّنا لا نرى فائدة من الدخول في السّجال الذي فرضوه علينا في مسألة الإرهاب والتشدّد والأصوليّة، وما إلى ذلك من كلمات ومصطلحات، في دعوة صريحة منه إلى العودة إلى منابع ثقافتنا، والعمل على «تأصيل مصطلحاتنا من خلال ما نملك من عناصرَ أصيلة في كلّ المسيرة الثقافيّة التي عشناها ولا نزال نعيشها، ثم إذا أصّلناها فإنّه يمكن أن نقف أمام العالم لنقول له ما معنى الإرهاب، وما معنى الحضارة والأصوليّة وما إلى ذلك، وبمعنى آخر أن لاننجرَّ حيثما يريدون أن يفرضوا علينا المعركة، بل أن نتحرّك من مواقعنا ومن أصالتنا». والتأكيد على أنّ « الإسلام يحترم إنسانيّة الإنسان بالطريقة الواقعيّة لا التجريديّة، وكلمة «الجهاد» التي حاول الإعلام الغربيّ والصهيونيّ أن يحرّكها في إطار معيّن على أساس ادّعائهم... إنّ هذه الكلمة تعني أن تتحرّك من موقع القوّة لتفرض فكرك.. وفي الحقيقة، فإنّ هذا المفهوم لا يعني إلاّ الدفاع عن الإسلام وعن النفس والوطن، لذا يجب الحذر من المحاولات المستمرّة على الصعيد الغربيّ لتشويه صورة الإسلام في هذا الجانب بالذات».

ومن هذا المنظار، يجب التأكيد على أنّ العدالة تحظى بالأولوية في الإسلام، لأنّ هذا الدّين يريد للإنسان المسلم أن يعدل مع كلّ الناس، إذ يجب أن لا يحُول دون العدالة مساحات طائفيّة أو مذهبيّة أو دينيّة، بل لا بدّ أن تكون للجميع، فقد شدّد الإسلام على الخطاب التصالحيّ والتعايشيّ وعلى احترام الجانب



السلوكيّ عند المسيحيّين الذي يختلف عن الجانب السلوكيّ عند اليهود الذين ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1] و﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[2]، لذا امتدح الإسلام الصفات الإيجابيّة الموجودة عند المسيحيين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3].

ولذلك لا بدّ من الحذر، لأنّهم يريدون لنا كمسلمين أن نعيش عقدة من الإسلام، فنحسب أنفسنا إرهابيّين فنتنكّر لأنفسنا ولمبادئنا وقيَمنا، ونتخلّى عن أبسط حقوقنا في الدّفاع عن أنفسنا، لأنّ من حقّ الإنسان أن يقوم بردّ فعل دفاعيٍّ في وجه من اعتدى عليه، أو وقائي لمن يريد أن يعتدي عليه منطلقاً من ثوابته القرآنية: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[4]..

الإسلام دين الرفق

وقد نهى الإسلام عن الاعتداء على الآخر حتى ولو كان صاحب حقّ ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[5]، بل يدعو إلى العفو: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[6]... فالإسلام هو الذي انفتح على الآخر بالحوار مع أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾[7]، وقد تركّزت نقاط اللّقاء في نقطتَين أساسيتَين هما: توحيد الله وإن اختلفنا في تصوّر الله وفهم التوحيد.. ومواجهة

---

(1) سورة البقرة، الآية 61.

(2) سورة البقرة، الآية 27.

(3) سورة المائدة، الآية 82.

(4) سورة البقرة، الآية 190.

(5) سورة البقرة، الآية 190.

(6) سورة البقرة، الآية 237.

(7) سورة آل عمران، الآية 64.

الاستكبار، وكلّ من يجعل من نفسه ربّاً للإنسان، لذا نهى الإسلام عن الحوار مع الظالم: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

وهنا نجد أنّ الإسلام يتمايز عن الآخر، ويقدّم منهجاً حواريّاً متقدّماً ينطلق من قاعدة السواسية مع الخصم، ويجعله في مستوى النِّدية حتّى يثبت صحّة ادّعاءاته، وهذا ما نلمسه بوضوح في الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2]، حيث يتجلّى الحوار بهدف الوصول إلى حقيقة ضائعة.. كما إنّنا لا نرى أنّ الإسلام يمارس إرهاباً فكريّاً على الآخر أو يقمعه بعدوانيّة، بل يعمل لإرساء قواعد العدل، ويحارب الظّلم ويواجهه من أيِّ جهة أو مكان صدر وانطلق.. فهو يدعو إلى الرِّفق، وإلى اتّباع الأساليب الحضاريّة السلمية التي تحوّل الأعداء إلى أصدقاء. ولذلك نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3]. ونقرأ في حديث الرسول(ص): «**إنّ الرِّفق ما وُضِع على شيء إلاّ زانه وما رُفع عن شيء إلا شانه، وإنّ الله رفيقٌ يحبّ الرفق، ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العنف**».

معنى الإرهاب

وعلى هذا الأساس، فإنّ معنى «الإرهاب» يتحدّد بأنّه كلُّ عدوان يمارسه إنسان على إنسان لم يعتدِ عليه، ولم يصادر أرضه وحياته وحريّته، ولذلك لا يحقّ له أن يقتل إنساناً أو يخطفه لمكسب ماديّ أو شخصيّ، أو لعقدة مذهبيّة أو طائفيّة أو حزبيّة أو لعقدة عشائريّة وعصبيّة، وإن كان هذا المعتدي يتّبع بعض الأساليب

(1) سورة العنكبوت، الآية 46.

(2) سورة سبأ، الآية 24.

(3) سورة فصلت، الآية 34.

التي لم تكن موضع ارتياح للناس، فمن الممكن مواجهته بالأساليب التي يعتمدها نفسها، لأنّ المماثلة هي التي تعطي مسألة الحقّ مصداقيّة هنا وهناك.. وهو ما بيّنه الأئمّة من أهل البيت(ع) في موضوع الحقّ وطالبه، لا سيّما حين ضُرب أمير المؤمنين[1]، فالمماثلة يجب أن تنطلق في الحقّ ومن أجل الحقّ. وبناء عليه نحن ندحض المزاعم التي تعتبر أنّ العمليات الاستشهاديّة موجّهة إلى ما يُسمّى «المدنيّين» في المجتمع الصهيونيّ الذي قتل أمن الفلسطينيين وشرّدهم وأمعن بأرواحهم قتلاً وبممتلكاتهم تدميراً، فالفلسطينيون إنسانيّون عندما ينطلقون في العمليّات الاستشهاديّة، لأنّ الاحتلال الإسرائيليّ قد صادر كلّ شيء منهم وقتل كلّ عناصر الأمن عندهم، وإذا كان الصراع بين الأمن الإسرائيليّ والأمن الفلسطينيّ، فإنّ الفلسطينيّين بقتالهم لا يستهدفون قتل المدنيين ولكن قَتْلَ الأمن الإسرائيلي.

إنّ الحرب ضدّ المحتل وضدّ من يحاربنا، ويريد إسقاط قوّتنا، هي مقاومة وانتفاضة وجهاد وكفاح وتحرير ودفع، سواء تمثّلت في عناصر إسلاميّة أو علمانيّة تقاتل في ساحة المواجهة؛ ضمن هذا المناخ نحن نحذّر من مغبّة السقوط أمام الإعلام الذي يحاول قلب المفاهيم التي أُريد من خلالها نعت المقاومة والانتفاضة بالإرهاب، ولذلك ينبغي تحريك هذا المفهوم بطريقة علميّة مؤصّلة في كلّ المجامع الثقافيّة في العالم، وألاّ ننعزل ونتقوقع في صراع الإيديولوجيّات في ما بيننا، إنّ هناك مفكّرين في الغرب يجب الانفتاح عليهم لحملهم على تغيير وجهة نظرهم في ما يتعلّق بقضايانا.. وربما استدلّ البعض من خلال ممارسات بعض الحركات الإسلامية التي تواجه حكامها من طريق العنف على أنّ الإسلام منطلقه إرهابي، ويحمل في جذوره بذوراً إرهابية، نحن

---

(1) المقصود هنا حين ضرب الخارجي ابن ملجم الإمام عليّاً (ع) بالسيف على رأسه وهو يصلي في المحراب وأدّت هذه الضربة الغادرة إلى استشهاده.

نخالف هذا المنطق ونرى أنّه حصل بفعل ضغوطات سياسيّة صادرت الشعوب العربيّة والإسلاميّة، وحكمتها بأجهزة الاستخبارات وبقوانين الطوارئ، كما أنّهم حاولوا نقل المفهوم الغربي للأصوليّة من أجل اتّهام الحركات الإسلامية بها.

لذلك، فإنّ الإسلام ليس أصوليّاً بالمفهوم الغربي، لأنّ الأصولية وَفْق هذا المفهوم تقوم على عنصرَيْن، العنصر الأول: إلغاء الآخر، والثاني اعتبار العنف وسيلة وحيدة للعمل. وهذا خلاف المبادىء والقيم الإسلاميّة التي تدعو إلى الاعتراف بأهل الكتاب، ومعاملة الآخر بالحسنى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، و﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] ويكون اللّجوء إلى العنف في الإسلام كحلٍّ أخير وهو بمثابة العمليّة الجراحيّة التي يلجأ إليها الطبيب عندما يهدّد المرضُ حياةَ المريض وتنعدم كلّ الوسائل الأخرى لشفائه.

الإرهاب لا يختصّ بقوم دون غيرهم

لا بدّ أمام حملة التشكيك التي تتهم الإسلام ومن ورائه المسلمين بالإرهاب، من توسيع مفهوم دائرة الإرهاب وإخرجها من إطارها السياسيّ إلى حقول التربية والاقتصاد والاجتماع وما إلى ذلك ، ومن الدائرة العربيّة الإسلاميّة إلى قلب ما يسمّى العالم المتحضّر إذ ليس من الضروري أن يكون الإرهاب سياسياً. ونحن نتسائل لماذا لا تُثار الجرائم التي حصلت في أميركا والتي يفوق حجمها الجرائم في أي مكان في العالم. والتي لم يحصل في عالمنا العربيّ والإسلاميّ مثيلاً لها، كأن يمسك طفل مسدساً ويقتل رفاقه وأساتذته، فما هي دلالات هذا الواقع، هذا ناهيك عن عملية التفجير الواسعة كما حصل في أوكلاهوما، وما معنى الحرب

(1) سورة المؤمنون، الآية 96.

(2) سورة النحل، الآية 125.

(3) سورة الإسراء، الآية 53.



في إيرلندا؟ وماذا عن كل «المافيات» الموجودة في الغرب.

وهكـذا نجد أنّ العالم المستكبر يعيش العدائيّة في جوهره، فيحاول دائماً أن يصطنع من الآخر عدوّاً، وفي هذا الإطار سعى بعد انهيار الاتّحاد السوفياتيّ إلى خلق عدوّ بديل عنه، فاتّخذ في أوّل مؤتمر للحلف الأطلسيّ الإسلامَ عدوّاً له، ولذلك بدأ بتنفيذ خطته الهادفة إلى التقاط كلّ السلبيّات الموجودة في العالم الإسلاميّ، حتّى على مستوى الأمور الصغيرة، لتوظيفها ضدّ الإسلام. فقد عمل الغرب على تصوير ما يحصل من حوادثَ عاديّة بين المسيحيّين والمسلمين في صعيد مصر على أنّها تمثّل اضطهاداً من جانب المسلمين للمسيحيّين ومصادرة لحريّاتهم وما إلى ذلك، وهكذا فعل في تصويره للحرب اللبنانيّة، وهي التي انطلقت من تخطيط هنري كيسنجر[1] الذي أراد أن يدفن القضيّة الفلسطينيّة في لبنان من خلال إثارة الحرب اللّبنانية التي حمّلت المقاومة الفلسطينيّة مسؤوليّة بدايتها. وهكذا يتحمّل الأميركيّون مسؤولية اندلاع الحرب واستفادوا فيها من نقاط الضعف عندنا، وإلا كيف تمّ إيقاف الحرب بقدرة قادر بمجرّد اتفاق الطائف[2].

وقد يحاول بعض المسؤولين في الغرب إمعاناً في التضليل الفصل ظاهراً بين الإسلام والإرهاب في محاولة منهم لامتصاص نقمة المسلمين، فيصرّحون أنّ الحرب ليست موجَّهة ضدّ الإسلام والمسلمين، بل ضدّ الإرهاب.. ولكنّنا نلاحظ أنّ أميركا وحلفاءها يهدّدون الدول العربيّة والإسلاميّة بين وقت وآخر، كما نلاحظ الحملة العنصريّة في الغرب ضدّ العرب والمسلمين، وربّما تتحرّك ضدّ الإسلام كدين في أكثر من موقع إعلامي، والجميع يعرفون أن الإسلام يقف

---

(1) وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية الأسبق.

(2) الاتفاق الذي تمّ بين اللبنانيين من خلال مجلسهم النيابي الذي انعقد في مدينة الطائف في السعودية برعاية عربية أميركية وكان بنتيجته توقف الأعمال الحربية بين الطوائف اللبنانية المتنازعة.

ضدّ العدوان الإرهابي، وإذا كان البعض يتحدّث عن الجهاد الذي يتحسّس منه الغرب، فإنّ الإسلام يتحرّك بالجهاد من أجل الدفاع عن نفسه، في الوقت الذي يؤكّد فيه على اختيار الأسلوب السلمي في حلّ المشاكل بدلاً من أسلوب العنف، ويدعو المسلمين إلى العمل على تحويل أعدائهم إلى أصدقاء، ليحصلوا على صداقة كلّ الشعوب من دون أيّ تنازل عن دينهم وقضاياهم الحيويّة المصيريّة. وهذا ما ندعو إليه المسلمين في كلّ مكان، وهو الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدّي الاستكباريّ، وفي دراسة الوسائل التي تجمع بين الدفاع عن النفس وبين الانفتاح على الشعوب بالطرق الحضاريّة، لنثبت للعالم كلّه أنّنا في المستوى العالي من الحضارة التي تلتقي مع حركة الحريّة وحركة الحوار مع الآراء الأخرى.

إنسانية الفقه الإسلاميّ

إنّ الفقه الإسلاميّ هو فقه إنساني؛ فمثلًا: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3] نقرأ آية في قمّة الإنسانية في الأسلوب: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[4]، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[5]. القرآن يقول لك: اتّبع الوسيلة والأسلوب الذي تحوّل به أعداءك إلى أصدقاء. هذا هو الإسلام في رحابته الإنسانيّة. الإمام علي(ع) يقول

(1) سورة النحل، الآية: 125.

(2) سورة يونس، الآية: 99.

(3) سورة البقرة، الآية: 256.

(4) سورة فصلت، الآية: 34.

(5) سورة فصلت، الآية: 35.

إنّ النـاس: «صنفـان، إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك فـي الخلق»، والنبي (ص) يقول: «إن الرِّفق ما وُضِع على شـيء إلا زانه ولا رُفِـع عن شـيء إلا شـانه»، و«إنّ اللـه رفيـق يحب الرفق ويعطي علـى الرفق ما لا يعطي على العنـف». إذاً، الفهم الذي يعتبر أنّ العنف هو وسيلة التغيير الوحيدة، بقطع النظر أيضاً عن حركيّة هذه الوسـيلة، ليس فقهاً إسـلاميّاً كما هو الإسـلام في رحابته الإنسـانية، ولذلك قلنا عندما كانوا يتحدّثون عن الأصوليّة الإسـلاميّة وأنَّ الإسـلام أصولي، وما شـابه، لا تُسـقطوا المفهـوم الغربيّ للأصوليّة على الواقع الإسـلاميّ. إنّ الإسـلام ليس أصوليّـاً بالمفهوم الغربيّ لأنّ الأصوليّة تقوم على عنصرَيْن، العنصر الأول: إلغاء الآخـر، والثانـي اعتبار العنف وسـيلة وحيـدة للعمل. ونحن عندمـا نقرأ خطاب الإسـلام لأهل الكتـاب، نرى أنّه لم يلغِ أهل الكتاب، وعندما نقـرأ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ﴾[1]، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ﴾[2]، و﴿وَقُل لِّعِبَـادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ﴾[3] لا نجـد عنفاً. العنف في الإسـلام كمثل العمليّـة الجراحيّة التي تلجأ إليها عندما يهدّد المرض حياتك. العنف لمن يفرض عليك العنف.

الاحتلال ولّد مناخ العنف في المنطقة

لذلـك عندما تلحظ حركيّة الشـعوب، يجب أن ندرس مفـردات التراث الذي يعيش في وجدانها، ثم ندرس طريقة فهم هذا التراث ممّا يجعل الحركة في خطّ هذا الفهم الذي قد يكون خاطئاً ويستقي حيويته وكلّ توتّره وحرارته من خلال ارتباطه بالقاعدة، بالأصل، بالإسـلام. أنا أريد أن أجاهد في سبيل الله، وهذا جهاد. كيف نفسّـر العنف الماركسـي، وكيف نفسّـر العنف القومي؟ هناك فكرة تجعل العنف

---

(1) سورة المؤمنون، الآية 96.

(2) سورة النحل، الآية 125.

(3) سورة الإسراء، الآية 53.

قضيّتك لإلغاء الاقطاعية وللقضاء على الرأسمالية، يجب أن نقتل وندمّر، إلخ... من الأمور التي كنت أتابعها منذ الخمسينيّات أنّ أغلب الحركات القوميّة والوطنيّة والإسلاميّة لم يكن لديها أيّ منهج في الأسلوب. كلّ هذه الحركات أخذت أسلوبها الحركيّ من الماركسية ووجدت أرضيّتها في الاحتلال الإسرائيليّ لفلسطين، ودخل العنف في المنطقة من خلال هذا الاحتلال ومن خلال الخطط السياسيّة، في إرباك العالم العربيّ من انقلاب إلى انقلاب إلى آخر، في مسألة الحرب الباردة بين الشّرق والغرب، التي دخلت فيها تفاصيل العنصر القومي من هنا والوطني من هناك، إلخ.. لذلك كيف نفسّر كلّ هذا العنف الذي لم يكن للإسلام أيّ مدخليّة فيه. فالإسلام لم يكن فريقاً في الحرب اللّبنانيّة، ولا في حرب اليمن، ولا في أي حرب أخرى، لأنّ الإسلام السياسي دخل كقوّة بعد ضعف التيّارات اليسارية، باعتبار أنّ الناس لجأوا إليه من خلال ظروف موضوعية محيطة. هذا من جهة.. ومن جهة أخرى، هناك نقطة يجب أن نعرفها، وهي أنّ أيّ حركة، سواء كانت إسلاميّة أو قوميّة، أو علمانيّة على العموم، تعيش بحسب وسائلها وروحيّتها تبعاً لذهنيّة القائمين عليها، والعالم الإسلامي هو عالم متحرّك، مختلف؛ فهناك إسلاميّون يملكون ثقافة طليعيّة تقترب من العصر، وهناك إسلاميّون لا يملكون هذه الثقافة بل يعيشون في الماضي. هنا إسلاميون وُلِدوا في دورة العنف واستطاع هذا العنف أن يخترق كلّ كيانهم وجاؤوا بالإسلام من غير تصوّر لثقافته ومفرداته ليكون عنواناً يُثير الناس. ولهذا لا تستطيع أن تحكم على الإسلام الحركيّ من خلال بعض النماذج. لا إشكال في أن هناك نماذج في الإسلام تملك رؤية معاصرة (لا أحبّ استخدام عبارة الاعتدال والتطرّف لاستهلاكهما) ومتوازنة. ولكنّ المشكلة أنّ الأنظمة ومن ورائها الخطط الغربيّة والاستكباريّة أصبحت تعاني من الإسلام المعتدل الحركيّ أكثر من الإسلام المتطرّف.



مفهوم الإرهاب بين الغرب والإسلام

خلط بين الإرهاب والمقاومة

وكنموذج من نماذج الاستخدام السياسي للمفاهيم والمعاني سوف نتعرّض وبموضوعيّة وبقطع النظر عن الموقف السياسي من السياسة الأميركية، بالمناقشة للشعار الذي أطلقه الرئيس الأميركي (بوش) للعالم المتحضّر والنامي معاً: «إمّا أن تكونوا معنا أو مع الإرهاب»، إنَّ هذا الموقف يفترض منّا تحديد معنى الإرهاب، هل يشمل الإرهابُ العمليّات التي يقوم بها الباحثون عن تحرير بلادهم من الاحتلال؟ أو من الديكتاتوريّة، حين تحشر الشعب في زاوية لا تُطاق؟ أو أنَّ الإرهاب هو فعل الذين ينطلقون من حالات ذاتيّة أو ماديّة أو سياسيّة في غير حالة حرب، ليكون العنف الوسيلة الوحيدة للاحتجاج السياسي، من دون أن يحقّق نتيجة على مستوى الاستراتيجية الحيوية لبلوغ الهدف؟

ونلاحظ أنَّه حتَّى الدول العربيّة والإسلاميّة الصديقة للولايات المتّحدة تختلف معها في اعتبار أنَّ العمليات التي يقوم بها الفلسطينيّون ضدَّ الاحتلال والتي قام بها اللّبنانيّون سابقاً عمليات استشهادية جهادية تحرّرية وليست إرهابية، كما حاولت أميركا أن تصف أعمال حركتَيْ حماس والجهاد في فلسطين وحزب اللّه في لبنان.

المسألة أوّلاً في تحديد الإرهاب، فبعض الدول قد تكون مؤيّدة لسياسة الولايات المتّحدة الأميركيّة، لكنَّها ليست معها في تحديدها لمفهوم الإرهاب، ولكنَّها ضدَّ الإرهاب في مفهوم آخر.

لذلك فإنَّ هذه المعادلة الأميركيّة (إمّا معنا أو ضدَّنا) هي معادلة استعراضيّة ديكتاتوريّة مضمونها دعوة العالم إلى الخضوع.

إنَّ المفهوم الإسلاميّ للعنف هو نفسه المفهوم الإنسانيّ في الحضارات كلّها في العالم، فلنبدأ من الجوانب الفرديّة، حيث لا يجوز للإنسان أن يضرب أيّ إنسان آخر سواء كان ولداً دون سبب، ولا يجوز ضرب من يسبّك أو يشتمك، ولا يجوز لك ضرب أيّ إنسانٍ أو قتله أو جرحه إلاَّ في حالات الدفاع عن النفس، كما لا يجوز لك البَدْء بقتال أيّ إنسان إلاَّ في حالة الدفاع عن النفس.

إنَّ بعض الغربيّين يعتقدون أنَّ الإسلام يطلق كلمة الجهاد بدون شرط أو ضوابط، فما هي هذه الكلمة: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**﴾[1]، ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾[2]، ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾[3]، لذلك، فإنَّ قراءتنا لتعامل المجتمع المسلم مع غير المسلمين: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 190.

(2) سورة النساء، الآية: 75.

(3) سورة البقرة، الآية 193.

(4) سورة الممتحنة، الآية: 8 – 9.

فإنَّ كلّ إنسان مسالـم لك ولدينك، هو إنسان له الحقُّ في أن تبرّه وتقسط معه وتؤدّيَ حقَّه وأمانته.

للحرب قوانينٌ في الإسلام

نقول: في الإسـلام هناك الآية: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**﴾[1]، ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾[2]، المسألة هي أنَّ الحرب عندما تُفتح مع دولة تقاتلك أو تقاوم وتريد أن تقتلك فرداً أو شعباً، أو تقتل المستضعفين من النَّاس، فلا بُدَّ لك من أن تقوم بمهمّة الدفاع عن نفسك سواء كنت فرداً أو مجتمعاً أو شعباً، كما عليك أن تقوم بمهمّة الدفاع عن المستضعفين، إذا كنت تملك أن تنصرهم باعتبار وجوب نصرة المظلوم، عندما تفتح الحرب وتأخذ شرعيّتها كونك في موقع الدفاع عن النفس المبرّر إسلاميّاً والمبرّر في كلّ الحضارات، فإنَّ من الطبيعي أن تستحضر كلّ أسلحتك في سبيل الدفاع عمّا يجب أن تُدافع عنه.

إنَّ الإسلام يبرّر للإنسان أن يُدافع عن نفسه، لكنَّه يختم بأكثر من آية في قوله: ﴿**وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[3] و﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾، ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾[4]. إنَّ للحرب قوانينها العادلة في الإسلام، ولكن للحرب شرعيّتها في الإسلام، عندما تُوجَّه لمن يقاتلونك أو لمن يظلم المستضعفين ممّا يجعل موقعك موقعاً شرعيّاً في هذه الحرب.

---

(1) سورة البقرة، الآية 190.

(2) سورة النساء، الآية 75.

(3) سورة البقرة، الآية 190.

(4) سورة البقرة، الآية 194.

الإسلام ضدّ الإرهاب

نحـن نوافق على شـنّ حربٍ واسـعة ضـدَّ الإرهـاب بالمعنى الـذي نفهم فيه الإرهـاب، بأنَّه الحرب على المدنيّين وعلى الأبريـاء في غير ضرورات الحرب، أمّـا أميركا فإنَّها تعتبر الانتفاضة والمقاومة فـي لبنان إرهاباً، ونحن لا نوافق على ذلـك، لأنَّنا نعتبـر أنَّ هذه الحركات هي حـركات تحرّر وليسـت إرهابيّة، ونحن نقـرأ فـي كلّ هذه الحركة الأميركيّـة الدوليّة التي تضغط علـى كلّ الدول الكبرى والصغـرى، أنَّ أميركا تُحاول أن تجعل من شـعار الحرب على الإرهاب وسـيلة من وسائل تنفيذ كلّ مخططها السياسي، والذي لـم تستطع أن تنفّذه في الحالات العاديّة.

الضغط يولّد الانفجار

إنَّ الإرهـاب السياسـي ـ إن صـحّ التعبير ـ أو ما يُسـمّى بالإرهاب السياسـي، يخضـع دائمـاً لردّ الفعل مـن الضغوط السياسـيّة التي تجعل جماعـة من النَّاس، وتجعل الشّـعب يشـعر بفقدان حريّتـه، وتجعله يشـعر بأنَّه محاصر فـي اقتصاده وأمنـه، وحتّى في دينه مثلاً.. وعندما ندرس ما يُسـمّى بالعمليّـات الإرهابيّة ضدَّ هـذا النظـام أو ذاك، فإنَّنا نجد أنَّ الضغط على الحريّـات يدفع النَّاس إلى العنف، سواء كان عنفاً يصل إلى نهايته أو يقف عند حدود معينة.

إنَّ القانـون المعـروف هـو أنَّ شـدّة الضغـط تولّـد الانفجار، وهـذا الانفجار يختلف حسب درجة الضغط.





الحوار الإسلامي الغربي: العوائق والشروط

لعلّ من المشكلات التي كان يعاني منها الواقع الإنسانيّ، وما يزال، هي مسألة الحوار القائم على الاعتراف بالآخر، وحلحلة المشكلات والعوائق الذاتيّة والخارجيّة. وبدل السعي إلى اجتياز الحواجز النفسيّة والثقافيّة والفكريّة، وإزاحة المُطْلقات والمُسْبقات من طريق أيّ حوار، لإقامة علاقات متوازنة بين الشّعوب والدول، وبناء المجتمعات على أسس سليمة، نجد أنّه يتمّ التعامل بين مختلف المواقع باستعلاء واستكبار، حيث يحاول القويُّ أن يتسلّط على الضعيف.

شروط الحوار

من شروط الحوار الهادف إلى الوصول إلى قاعدة الفهم المتبادل، هو أن لا تكون هناك شروط مُسبقة يفرضها أحد الطرفين على الآخر، من خلال إصدار الحكم عليه بشكل حازم لا يقبل أيّة مناقشة. وعلى ضوء هذا، فإنّنا نبدأ من الحروب الصليبيّة التي ربّما يُخيّل للبعض أنها تمثّل عقبة في واقعيّة الحوار بين الغرب والإسلام. نحن نعتقد أنّ الحروب الصليبية كانت مُنطلِقة من ظروف معيّنة تختزن في داخلها الرغبة الدينيّة المسيحيّة في تحرير الأراضي المقدّسة للمسيحيّين في القدس، والتي يعتبرها المسيحيّون محتلّة من قبل المسلمين، إضافةً إلى بعض الظروف السياسيّة والداخليّة الموجودة في الغرب أو خارجه

في هذا المجال. ولذلك، لا نعتبر الحروب الصليبيّة التي عاشت في مرحلة زمنيّة معيّنة وانتهت بجميع مفاعيلها ومؤثّراتها لاسيّما بعد تحرير فلسطين من الاحتلال الصليبيّ، أنّها تمثّل عقدة لدى المسلمين، لأنّ الغربيين في هذه المرحلة، كما المسلمين، لا يعيشون حركية هذه الحرب بالمعنى الدينيّ إلاّ ما قد يعيشه بعض الناس من مشاعر سلبيّة أو إيجابيّة، كما يعيش البعض التاريخ السلبيّ أو الإيجابيّ في مجالاتهم.

أما مسألة الجهاد، فإنّ الغرب قد يحمّلها ما لا تحتمل، لأنَّ الجهاد في الإسلام بقاعدته الوقائيّة والدفاعيّة، لا يختلف عن أيِّ حرب يثيرها أيّ فريق في العالم لا يؤمن بالعدوان على الناس الآخرين، فالإسلام يمنع المسلمين من أن يعتدوا على أيّ إنسان مسالم لا يريد لهم حرباً ولا يضطهدهم أو يُخرِجهم من بلادهم، فالله يقول: ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] ، ويقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

إنّ إعطاء كلمة الجهاد معنى عدوانيّاً، بحيث يُخيَّل للآخرين أنَّ المسلم يمسك سيفاً فوضويّاً عدوانيّاً يحاول من خلاله أن يضرب أيّ إنسان غير مسلم ليقهره على الدين، هو أمر غير واقعي، ولا يمتّ إلى الحقيقة بصلة.

---

(1) البقرة:190

(2) الممتحنة: 8ـ9.

نريد الصداقة مع الشعوب الغربيّة

هنـاك بعـض الذهنيّات التـي قد تُسـيء فهم هذا العنـوان، كما نجـد ذلك في حديث بعض المسؤولين الغربيين.

نقـول يمكـن للغرب أن يطرح تصـوّره في القاعدة الفكريّة التـي يرتكز عليها، حيـث يعتبـر أنّ الديـن خـارج نطـاق الحيـاة والسياسـة والقانون وما إلـى ذلك، وأن ينطلـق من القاعدة الفلسـفيّة الماديّة فـي نظرته إلى مسـألة الحريّات الفرديّة للإنسـان، وفـي مسـألة الاقتصاد في أبعادهـا الرأسـماليّة أو الاشـتراكيّة، أو التي تأخذ دور الوسـط بين الماديّة والاشـتراكيّة، في قضيّة التبادل بينه وبين الشـعوب الأخرى، وفي العلاقات التي ينبغي أن تركز على أساس النفعيّة.

ونحن كمسـلمين، نشـعر بأن علينا أن نحاور العالم كلّه، والإنسـان كلّه، وفي كلّ شـيء، لأنّ مسؤوليّتنا في الدعوة إلى الإسـلام تبدأ بأن يفهم الناس الإسلام، وأن يفهم المسلمون الأفكار التي يفكّر بها الآخر، على أساس أن الإسلام يعلّمنا أن نلتقيَ معَ الآخرين على كلمة السواء، ثم نتحاور بيننا وبينهم في ما اختلفنا فيه. لذلك لا نجد أيّ مشكلة في مسألة الحوار بين الإسلام والغرب.

وانطلاقاً من هذه القناعة نقول، ليس لدينا مشكلة مع الشعوب الغربية، أميركيّة وأوروبيّة، وإن كنّا نختلف مع بعض ما يأخذ به هذا الشّعب أو ذاك عندما ينتخب رئيسـاً لـه بطريقـة خاصّـة، وعندما ينتخـب له أعضاء فـي برلمان دولتـه ، بحيث يصـوّت هؤلاء مثلاً على كلّ ما تريده إسـرائيل، ومع ذلـك نحن لا نختزل حركة هذه الشعوب في قضيّة واحدة لنحكم على العلاقة معه حُكماً مبرماً.

نحن نريد أن نكون أصدقاء للشـعوب الغربيّة عامة، وذلك من خلال الحوار،

أن ندخل في الحوار مع المؤسّسات الثقافيّة، مع مراكز الدراسات، مع المراكز الاقتصادية، مع القطاعات الشعبيّة العادية العاملة، حتى إنّ علينا أن نفكّر في أن يسعى كلّ الذين يعيشون في الغرب، من الذين أخذوا جنسيّة البلد الذي يعيشون فيه من العرب والمسلمين، أن يسعوا إلى الدخول في النسيج الشعبيّ والوطنيّ لهذا البلد، لتعرف شعوب هذه الدول أنّ المسلمين يعيشون الاهتمامات التي تعيشها هذه الشعوب، وقد أكّدنا لهؤلاء المسلمين في أكثر من مناسبة لا تحدّثوهم فقط عن القضيّة الفلسطينيّة، أو عن القضيّة العراقيّة، حدّثوهم عن البيئة، عن الضرائب، عن الأمن، عن كلّ الأشياء التي تهتمّ الشعوب الغربيّة بها. إنّ ذلك يمثّل القاعدة التي تستطيعون من خلالها أن تحصلوا على ثقة الشّعب هناك. إنّكم لستم مجرَّد مغتربين طارئين، بل أنتم جزء من هذا الشّعب، وهذا الشّعب هو جزء من المجتمع العالمي.

علينا أن ندخل في النسيج الغربيّ عن طريق الحوار، لذلك أُثيرت مسألة الإرهاب ومسألة العنف والرِّفق، وتحوّلت بعض دول الغرب إلى ما يشبه العالم الثالث الذي يعاقب الإنسان لمجرَّد انتمائه العشائري أو القومي وما إلى ذلك، وعاش العرب والمسلمون، حتّى من يشبههم من الهندوس وغيرهم، حالة طوارئ، ولذلك عندما وقعت أحداث 11 أيلول مثلاً، دَعَوناهم إلى أن يصبروا حتّى تهدأ الضجة، وأن يحاولوا الوقوف إلى جانب الشعب الأميركي في قضيّة الأمن، وقد كنت أول من أصدر بياناً بعد أربع ساعات من الحادثة، استنكرت فيه ما حدث، وقلت إنّ هذا الأمر لا يقبله عقل ولا شرع ولا دين، ليفهم الإنسان الأميركي أنّ الإسلام بريء من كلّ هذا.

إنّنا حتّى لو اختلفنا مع السياسة الأميركية، فإنّنا لا نحاربها بهذه الطريقة،



كما أننا لا نحارب السياسة الأميركية بإنزال العقاب على الشعب الأميركي، كما لا نريد لأميركا أن تحاربنا بهذه الطريقة، لذلك نحن نقول، إنّه لا بدّ من الحوار مع الغرب بكلِّ الوسائل الممكنة، وإذا كانت الإدارة الأميركية مستعدّة لأن تدخل في حوار موضوعيّ فلا مشكلة في ذلك، ولكنّنا نشكّ في أن تعيش الإدارات الغربيّة مسألة الحوار مع الآخرين، ولعلّ أفضل دليل على ما نقول، هو ما تحدّث به الرئيس بوش، عندما ثار الجدل حول مسألة الإرهاب في قضيّة الحرب ضدّ الإرهاب، وتحدّث الاتّحاد الأوروبيّ أو بعض دوله، أنّ علينا أن نبحث في المسألة عن الإرهاب وعن طبيعته، فأصدر «كلمته الشهيرة»: «إنّه ليس هناك إرهاب سيّىء وإرهاب حسن؛ كلّه إرهاب»، وأدخل المقاومة والقضيّة الفلسطينيّة في دائرة الحرب على الإرهاب، ولا زال، مع علم الجميع وقناعتهم أنّ القضية الفلسطينيّة هي قضيّة سياسيّة قبل أنّ تكون قضيّة أمنيّة.

طبيعة العلاقة وأبعادها

عندما نتحدّث عن العلاقة بين الشرق والغرب، فإنّنا لا نعتقد أنّ للبعد الجغرافي دوراً في تخطيط العلاقات، إلا من خلال ما يمثّله هذا للإنسان في هذا الموقع الجغرافي من أفكار ومصالحَ ومخاوفَ، أما في الاتّجاه الآخر، وفي الموقع الآخر، فإنّنا عندما ندرس المسألة في الشرق والغرب، نلاحظ أنّ التطوّرات الإنسانيّة في جميع المواقع والجوانب، جعلت كثيراً من الشرقيّين غربيّين، كما أنها أعطت الغرب بعض الملامح الشرقيّة هنا وهناك. هذا التداخل في الثقافات والأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة، جعل هناك مجالاً واسعاً لأن يفرض فريقٌ نفسه في كلّ أبعاده على الفريق الآخر، بحيث أصبح الفريق الثاني صورة مشوّهة في بعض الحالات للصورة الموجودة لدى الفريق الأول.

على ضوء هذا، لا بدّ من أن ندرس المسألة في الجانب الفكري، وعلى المستوى الثقافيّ والدينيّ والاجتماعيّ والإنسانيّ، وعليه يمكن في هذه المسألة أن ندرس ما عند الشرق من أديان وأفكار ومفاهيم وعادات وتقاليد، وما عند الغرب، ليدور الحوار حول هذا أو ذاك، وحول ما إذا كان هناك تباين بين الخطّتَين الثقافيتَيْن، أو أنّ هناك مواقع لقاء. فإذا لاحظنا وجود تباين في الذهنيّة، فمن الطبيعي أن يكون الحوار من أجل التقريب بين الذهنيّتين، وإذا وجدنا مواقع لقاء كما هو الواقع في كثير من المجالات الفكريّة العمليّة في أكثر من جانب من جوانب الحياة الإنسانيّة، فإننا نقف على مواقع اللقاء أو نتحاور في مواقع الخلاف.

إننا نتصوَّر أنّ المشكلة الآن بين الغرب والشّرق، ليست في العمق على مستوى العلاقات الثقافيّة، وإن كان للثقافة دورها في أكثر من جانب، ولكنها تأخذ مناحي اقتصاديّة وسياسيّة وأمنيّة. فالغرب بما يملك من قوّة عسكرية وتكنولوجيا ماديّة وما إلى ذلك، يحاول السيطرة على الشرق من خلال السيطرة على مواقعه الاستراتيجيّة. وعندما تحدث صراعات في الغرب نفسه حول الموقع الاستراتيجيّ الذي يسيطر به على مصادر القوة، كما البترول والأسواق الاستهلاكية والاستثمارات، فإنّنا نلاحظ أنّه يحاول أن يسيطر على الشّرق، لأنّ الشّرق هو مخزن الثروات، ويتمتّع بمواقع استراتيجية، فضلاً عن كونه يشكل مجالاً واسعاً للتوظيفات الاقتصادية والاستثمارات والأسواق الاستهلاكية.

حدود المصالح

ولذلك، نتصوّر أنّ المسألة إذا ما أريد لها أن تخضع لقاعدة، فلا بدّ من أن تكون هذه القاعدة مرتكزة على أساس الاحترام المتبادل. على الغرب أن يعيَ

بـأنّ مصالحه لن تستقرّ في الشّرق إلا على أسـاس احترام الشـرقيّ فـي قضاياه الحيويـة، وفي قراراتـه المصيرية المتعلقة بمسـألة الاكتفاء الذاتـيّ، والحرية في سياسـته واقتصـاده وأمنـه. لا بدّ من أن يكـون الحوار والعلاقـات مرتكِزَيْن على أسـاس أن يكفـل الغـرب للشـرق قضايـاه الحيويـة، وأن لا يُقبل عليه باسـتكبار واستعلاء، ليصادر سياسته لتكون على هامش سياسته واقتصاده وأمنه.

وهنا يجب أن نشـير إلى أنّ العولمة الاقتصاديّة والسياسيّة والأمنيّة تمثّل كلمة حـقّ يُـراد بها باطل، باعتبار أنّ الغرب يحطّم كلّ الحواجز التي تقوم بين شـركاته الواسـعة وبين مواقع الشـرق، سـواء كان الشـرق عربيّـاً أو إسـلاميّاً، لذلك، فإنّ المسـألة تحتـاج إلى أن يحترم الغرب الشـرق، وتحتاج إلى حـوار حول الحدود الفاصلـة بيـن مصالـح الغـرب ومصالح الشـرق، لتكـون العلاقـات مبنيّـة على المصالح المتبادلة.

لكننـا نلاحـظ أنّ الغـرب يحاول دائماً أن يجعل الشـرق في حالـة اهتزاز، من خـلال أجهزته الاسـتخباراتيّة، ومـن خلال ضغوطاتـه العسـكريّة والاقتصاديّة، لتبقـى له السـيطرة على كلّ مقدّرات الشـرق. وفي ضوء هذا، لا نـرى أيّة إمكانية واقعية للحوار على أسـاس التكافؤ في المواقع والقضايا. فعلاقة الغرب بالشرق هي علاقة استكبار يُراد بها إضعاف المستضعفين وقهرهم بوسيلة أو بأخرى.

تمايز أوروبي ـ أميركي

ثـم إنّ هنـاك أيضاً نقطـة أخرى، وهي مسـألة العلاقات الاقتصاديـة بيننا وبين الغـرب، ولا سـيّما بيننا وبين الاتّحـاد الأوروبي، وعلينا أيضـاً ونحن نتحاور مع الغـرب، أن نفـرّق بيـن الغرب الأميركـي، طبعاً على المستوى السياسـي، وبين

الغـرب الأوروبيّ، لأننا نعـرف أنّ الغرب الأوروبي بدأ يفهم بشـكل جيد الواقع الذي يعيش فيه الشرق، سواء الشرق العربي أو الإسلاميّ، حتى وإن كان لا يزال يخضع للضغط الأميركي في مسـائل معيّنة، ولذلك لا بدّ لنا من أن ندرس طبيعة المساحة، مساحة التمايز بين الفريقَيْن الغربيّين، فقد نلاحظ أنّ أوروبا أقرب إلينا مـن حيث فهمها لقضايانا، أو من خلال قربها إلينا، أو من خلال تقاطع مصالحها مـع مصالحنـا. ربّما نكون في حاجـة إلى حركة ديناميكيّة، واعيـة، نقترب بها من أوروبا باعتبارها أقرب إلى تحقيق التوازن المطلوب للقوّة في العالـم.

إنّ العالـم يرتكز على أسـاس المصالح، والمصالح غالباً ما تتركز على أسـاس الاقتصاد. علينا أن ندرس مواقع أقدامنا في خطواتنا، من أجل العلاقات المتوازنة مـع هـذا الفريق أو ذاك، وإن كانت طبيعة الأمور قـد تجعلنا أقرب إلى أوروبا من أميركا، لأنّ أوروبا أقرب إلينا من خلال مصالحها من أميركا.

الاستفادة من الغرب

وهنا نؤكّد أنّه من الطبيعي أنّ علينا أن نستفيد من حضارة الآخرين، فقد سَبَقَنا الغرب في التكنولوجيا، وكنّا سبقناه في مصادر المعرفة إلى جانب التأمّل والتفكير، ولكنّنـا وقفنـا عند حدود معيّنة وتحـرّك الغرب في هذا المجال. لذلك نشـعر أنّ علينا أن نأخذ من الغرب كل العناصر التي تمثّل التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ وما إلى ذلك، ونحاول أن نوفّق بين ما نأخذه وبين ما نملكه من مبادئ، ثم نحاول أن ندرس لماذا تخلّفنا؟ ولماذا لم نأخذ بسياسـة التصنيع؟ ولماذا لم نشجّع العلماء عندنـا من أجل أن يُبدعوا ويأخذوا بأسـباب التقدّم، لمـاذا طردنا علماءنا وضيّقنا عليهم، واسـتطاع الغرب، أن يشـتريَ أدمغتهم، وأن يوظّفهم ليعملوا على أساس

تطوير علومه التي يسيطر من خلالها علينا؟

إنّ مشكلتنا، أنّ الواقع العربيّ الإسلامي لا يحكم من خلال الشعوب، بل من خلال أشخاص عاشوا لذواتهم ولم يعيشوا لأمّتهم، ولهذا ركّزوا التبجيل والتخلّف، لأنّه هو الذي يبقيهم في مواقعهم التي ربّما وظّفها الاستكبار العالمي.

والمشكلة عندنا أيضاً أنّ العلماء الذين يبلغون درجة عالية من العلم في كلّ مواقع العلم، لا يجدون الفرصة لتفجير طاقاتهم العلمية في بلاد العرب والمسلمين، لهذا يهاجرون إلى الخارج. لذا علينا أن نعيد النظر فيما نحن فيه، لأنّ إعادة النظر في ذلك قد تجعلنا نكتشف نقاط الضعف عندنا، ونقاط القوّة عند الآخرين، لنحاول تقوية نقاط ضعفنا من خلال ما ندرسه من مواقع القوّة عند الآخرين، أو من خلال ما ندرسه من عناصر القوّة فيه.

إدارة العلاقات مع أوروبا

لطالما شعرنا ـ كمسلمين ـ بأنّ حوارنا مع أوروبا يستدعي حركة تقارب وتفاعل في العلاقات معها، بما يُفضي إلى تكاشف على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى الدينية، باعتبار أنّ الإسلام لا يحمل أية عقدة تُجاه الآخر، ولا يعمل على تعزيز الفوارق مع الآخرين، بل يتحرّك في خطٍّ إلغاء هذه الفوارق أو التخفيف منها، لأنّ الأساس العقيدي الذي يستند إليه، يعمل لصداقة واسعة مع شعوب العالم كلّها وليس العكس. ولطالما أحسسنا بأنّ أوروبا التي أقلعت عن عقليّة الاستعمار، وغادرت طموحات الاستكبار، يمكن أن تكون الأقرب إلينا من الولايات المتحدة الأميركية التي لا تعمل على استعداء الشعوب الإسلاميّة واستلاب خيراتها ونهب ثرواتها فحسب، بل تتحرّك في



خطّ تصاعدي لاجتياح العالم، ضمن عقلية عدوانية تحملها شخصيّات بارزة في الإدارات الأميركيّة، باتت تحتقر حتى أوروبا وتنعتها بـ «أوروبا القديمة»، وغيرها من الأوصاف التي تستبطن الرغبة في محاصرة دول الاتّحاد الأوروبي، ومنعها من الاحتفاظ بشخصيّتها أو التطلّع نحو دور قيادي عالمي. إنّنا نشعر بأنّ ثمّة هواجسَ مُفتعَلة لمنع حصول تقارب وتفاعل حقيقي بين شعوب العالم الإسلامي والشعوب الأوروبيّة، ونحن نعرف أنّ الإعلام الصهيوني، والشخصيّات الإسرائيليّة واليهوديّة، يعملون على إذكاء نيران هذه الهواجس، واختلاق أحداث ومعطيات موهومة لتوسيع نطاق هذه الهوّة، ولتحذير أوروبا كي تعمل على إنقاص عدد المسلمين فيها، أو المهاجرين المفترضين إليها، كما تحدّث بذلك أكثر من مسؤول إسرائيليّ حالي أو سابق، كشمعون بيريز.

ونحن في الوقت عينه، نعرف أنّ ما تقوم به الجهات التكفيريّة في العالم الإسلامي، من إساءة إلى بعض الغربيّين، أو ما تتحرّك به في الخطاب المتخلّف، يساهم في تقديم نظرة مشوّهة عن الإسلام للمواطن الأوروبيّ، أو حتّى للناخب الأوروبّي الذي له دوره الكبير في توسعة أو تضييق العلاقات مع هذا البلد الإسلامي أو ذاك، أو في مسألة انضمام هذا البلد الإسلامي أو ذاك لعضوية الاتّحاد الأوروبيّ، ولكن ذلك لا يُعفي المسؤولين الأوروبيّين الرسميّين، والكثير من الأحزاب الأوروبيّة ووسائل الإعلام الأوروبيّة المتعدّدة، من مسؤوليّاتها في إثارة العقد والحساسيّات وحتى الأحقاد حيال الشعوب والبلدان والمجموعات الإسلاميّة.

إنّ على الأوروبيّين أن يفهموا أنّ المسلمين الذين اندمجوا معهم في مواطنيّتهم، أو الذين يهاجرون إليهم طلباً للعلم أو الرزق، لا يعملون لاجتياح



أوروبـا، بل يشـاركونهم فـي حياتهـم، وحتّى فـي مشـاريعهم وأوضاعهم، وفي الوقـت الـذي يقدّمـون فكرهم وآراءهـم السياسـية والثقافيّة والدينيّـة، فإنهم في الأغلبيّة السّـاحقة منهم لا يمثّلون عنصر تخريب أو إقلاق أو تعقيد للعلاقات مع الشـعوب الأوروبية وهذا ما ينبغي أن يشـكّل عاملاً حاسماً في إسقاط الهواجس المفتعلة في خطّ العلاقات الإسلاميّة الأوروبيّة.

إنّنا ـ ومن موقعنا الإسـلامي ـ ندعو إلى إدارة حوارٍ إسـلاميّ أوروبيّ، وعربي أوروبيّ، على نطاق واسـع وشامل، تشـترك فيه الشـخصيّات الثقافيّة الأوروبيّة، والأحزاب السياسـيّة، والشخصيّات الرسميّة، ومراكز الدراسات الأوروبية، كما يشترك فيه مراجع المسلمين وعلماؤهم ومثقّفوهم ومراكزهم الدراسية المنفتحة، والحركات الإسلامية، لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام، في نظرته إلى الغرب، وتصوّره للعلاقة مع الآخر الدينيّ أو السياسيّ أو العلمانيّ وما إلى ذلك. كما نريد للدول والأنظمة الإسـلاميّة، أن تعمل على تحسـين سـجلّها في مجالات حقوق الإنسـان، انطلاقـاً مـن القيم التي ركّز عليها الإسـلام في احترام الإنسـان وحفظ حقوقـه ورعايتـه ورفض اضطهاده والإسـاءة إليه إلـى أيّ دينٍ أو عِـرْقٍ انتمى... إنّنا نريد لورشـة الحوار مع الغرب، وخصوصاً مـع أوروبا، أن تنطلق، ولكننا في الوقت نفسـه نقول للأوروبيّين: أُخرجوا مـن عقليّتكم التاريخية، غادروا حقدكم وهواجسكم حيال الإسلام، وتعالوا إلى كلمة سواء في التعاون والتقارب ورفض الظلم الاجتماعيّ والسياسيّ والدينيّ على مستوى العالم كلّه.





الهجوم الغربيّ والتصدّي الحضاريّ

ردّاً على استفتاءات وردت إلى سماحته بخصوص الاعتداء الثقافيّ والسياسيّ والميدانيّ على الإسلام:

أفتى سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله(رض) بوجوب القيام بحملة توعية ثقافيّة وسياسيّة شاملة لمواجهة العدوان الثقافي والسياسيّ والميدانيّ الذي يتعرّض له الإسلام..

وأَوجب سماحته على العلماء والمثقّفين والحوزات الدينية العمل بقوة وتخطيط للتصدّي لأنواع العدوان المختلفة على الإسلام بالوسائل الشرعيّة.. مشدّداً على الحركات الإسلاميّة أن تبتعد عن ممارسة كلّ وسائل العنف المجنون غير المبرّر شرعاً.

وردت إلى سماحته جملة من الاستفتاءات حول ما يتعرّض له الإسلام في بلاد الغرب في هذه المرحلة، وجاء في بعضها:

يتعرّض الإسلام في هذه الأيّام لحملة تتجاوز الهجوم على الدول الإسلامية ومواقعها الاستراتيجية وثرواتها الطبيعية، لتصل إلى رموزه ومقدّساته، ومحاولة تقديمه كدين يرتكز على العنف في قاعدته الفكريّة، وعلى الإرهاب كأسلوب تغييريٍّ، وعلى التخلّف في تشريعاته القانونية.. وأمام هذه الهجمة نتقدّم من

سماحتكم بالسؤال حول تحديد ما يتوجّب على المسلمين عموماً، وفي بلاد الاغتراب بشكل خاص عمله، التزاماً بما يمليه عليهم الواجب الشرعيّ حتى يُعذَروا أمام الله؟

فأجاب سماحته: إنّنا أمام التحديات الثقافية والسياسية الصعبة التي تواجه الإسلام في عقيدته ومفاهيمه ومقدّساته، نفتي بوجوب أن يقوم المسلمون بمسؤوليّاتهم الإسلاميّة الشرعيّة على المستويات التالية:

أولاً: في بلاد الاغتراب لا سيّما البلاد الغربيّة، يجب على العلماء والمثقّفين هناك القيام بحملة تثقيفية من أجل توعية الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، بالخطوط الإسلاميّة الثقافيّة المرتكزة على الرّفق والمحبّة والحضارة والعقلانيّة، والانفتاح على قضايا العلم ومكتشفاته، والحوار مع الحضارات الأخرى والتيارات الأخرى بأسلوب موضوعيّ وإنسانيّ، والاستفادة من وسائل الإعلام المتنوّعة، مرئيّة ومسموعة ومقروءة، لأنّ المشكلة التي نواجهها هي أنّ الإنسان الآخر في الغرب وغيره خاضع للحملة المضادة للإسلام، فلا بدّ من مواجهة ذلك بتوعية واقعية مضادّة لتلك الحملة على مستوى النظريّة والتطبيق.. إنّ وجودنا في تلك البلاد يمثّل مسؤوليّاتنا في الدّعوة إلى الإسلام.

ثانياً: يجب على المسلمين العمل الجادّ والمسؤول لتشجيع الحوار بين الديانات، كما يجب على النُّخب الثقافيّة والفكريّة أن تسعى بكلّ طاقتها في سبيل الدخول في حوارات جادّة وعميقة مع الفئات الثقافيّة والدينيّة، وأن تعمل في الوقت نفسه على إزالة التوتّرات النفسيّة الناشئة من عدم وضوح الصورة من اتّباع كلّ دين للآخر التي قد تَحُول دون وصول الحوار إلى هدفه المنشود، وليكون ذلك وسيلةً من وسائل توضيح الصورة الحقيقيّة للإسلام التي تعمل

الأجهزة والمنظمات والدول على محاولة تشويهها.

ثالثاً: يجب على القائمين على شؤون الحوزات العلميّة والجامعات الإسلامية والنوادي الثقافية، التخطيط لدراسة القضايا الحيّة التي تمثّل الاهتمامات الملحّة للإنسان كقضايا حقوق الإنسان، ولا سيّما مسألة الحريّات، وقضيّة المرأة، والتنمية والعولمة والرّفق والعنف والجهاد والإرهاب والمقاومة، إلى غير ذلك ممّا قد يقع موضعاً للإثارة والجدل بشكل سلبي ضدّ الإسلام، لأنَّ تثقيف الدعاة والعلماء بقضايا العصر هو الذي يجعل من حركة الدّعوة والمجادلة والحوار وسيلة واقعية منتجة في مقابل التخلّف الثقافيّ الذي قد يُعطي صورة مشوّهة عن الإسلام.

رابعاً: يجب التأكيد على الوحدة الإسلامية في الجانب الثقافيّ والإسلاميّ باللّقاء على الثوابت الإسلامية ومواقع اللقاء، والكفّ عن السلبيّات التي تؤدّي إلى تمزيق الصفّ الإسلاميّ الواحد، وتجميد بعض الإثارات الخلافيّة التي تعطّل التقارب بين المسلمين، لأنّ العدوَّ ينطلق في حربه من موقع واحد ممّا يفرض علينا أن نواجهه من وحدة الموقع على هدى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[1]، سواء كانت الحرب ثقافيّة أو سياسيّة أو أمنيّة، لأنّ الأعداء يَنفذون إلى صفوفنا من خلال الثغرات المفتوحة في واقعنا الإسلامي.

خامساً: يجب على المسلمين التخطيط القوي لمواجهة كلّ حالة العدوان الاستكباري على أيّ موقع إسلامي، وإسقاط الذرائع السياسيّة والأمنيّة التي قد تدفع العدوّ للعدوان من خلال استغلال الأوضاع القلقة الداخلية في هذا البلد الإسلامي

---

(1) سورة الصف، الآية 4.

أو ذاك، من خلال دكتاتوريّة ظالمة أو نظام طاغٍ بحيث قد يندفع الناس للتخلّص منه ولو بالاستعانة بالاستكبار العالميّ.. وهذا ما يواجهه العالم الإسلاميّ في المرحلة الحاضرة، فإنّ عجزه عن حلّ المشاكل الحادّة في الواقع الإسلاميّ هو الذي أعطى الاستكبار الحجّة على الدخول إليه تحت عنوان إنقاذ الشعب من ظالمه.

سادساً: يجب التأكيد على التمييز بين الإرهاب وهو العدوان الفرديّ أو الجماعيّ على الناس من دون حقّ أو حرب، وبين المقاومة وهي الحركة العسكريّة ضدّ الاحتلال أو الطغيان.. لنواجه الإرهاب في الداخل والخارج بكلّ قوّة وتخطيط، لأنّه يمثّل الخطر على الإنسان كلّه، ولنقف مع الانتفاضة والمقاومة من أجل قضايا الحريّة للإنسان وللأرض.

إنّنا في الوقت الذي نشهد فيه طغيان «الدولة العظمى» التي باتت تمثّل نموذج الدولة الأصولية بامتياز، الأمر الذي يهدّد بتحويل فرضيّة حرب الحضارات المزعومة إلى واقع حرب أميركيّة ـ أوروبيّة ـ إسلاميّة، فإنّ على الحركات الإسلاميّة أن تدرس جيّداً أبعاد كلّ وسائل العنف المجنون غير المبرَّر شرعاً، وأن تخطّط للأخذ بالوسائل الشرعيّة الواقعيّة في مواجهة العدوان.

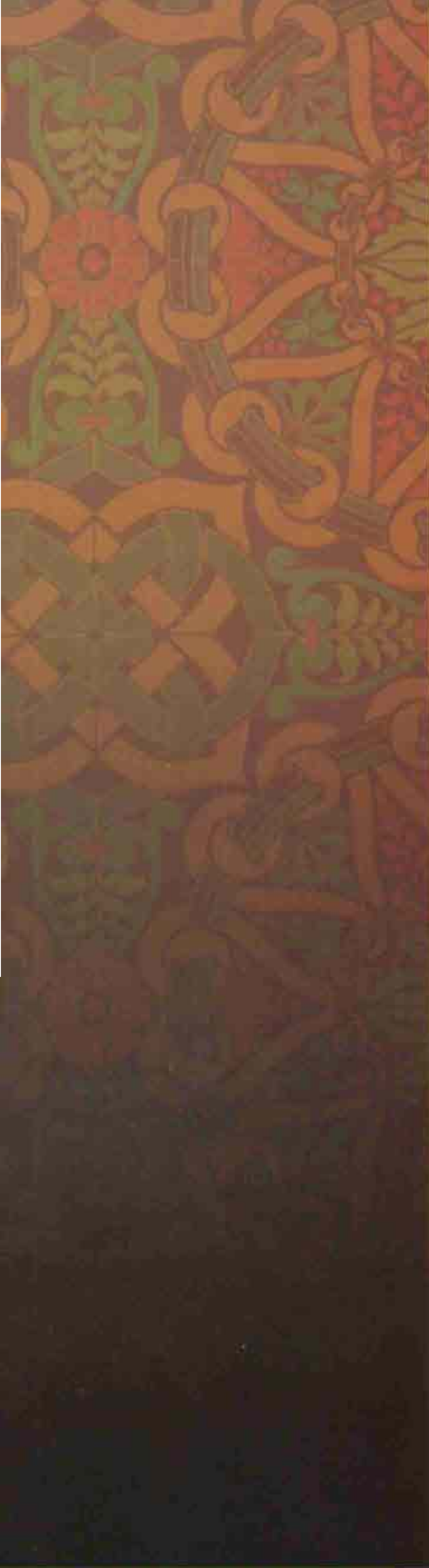
إنّ على المسلمين في هذه المرحلة أن يرتفعوا إلى المستوى الأعلى في مواجهة التحدّيات بقوّة وتخطيط وعقلانيّة وانفتاح على الواقع كلّه، من أجل حماية الحاضر وحركيّة المستقبل.





المحتويات





إصـــدار

المركـز الإسـلامـي الثقـافـي

مجمـع الإمامين الحسنـين (ع)